الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل -

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان

التوقيعات موضوعاتها وأهم خصائصها الفنية في العصر العباسي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
ـ خديجة يخلف
ـ فريدة مسيف

إشراف الأستاذ:
– صلاح الدين باوية

أعضاء لجنة المناقشة:

1 ـ الأستاذ: توفيق قحام ..... رئيسا
2 ـ الأستاذ: صلاح الدين باوية ..... مشرفا
3 ـ الأستاذ: خالد أقيس ..... ممتحنا

السنة الجامعية: 2019/2018م

الموافق لـ: 1440/1439هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله عزّ وجل ـ الذي منحنا القدرة والعزيمة

لإتمام هذا البحث

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ :

صلاح الدين باوية

الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته ومساعدته لنا

في إتمام هذا البحث من بدايته إلى نهايته وإخراجه في أحسن صورة .

كما نتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على تقبلهم عناء مناقشة هذا العمل

وأخيرا نتقدم بأسمى عبارات الاحترام والتقدير

لكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

مقدمة

برزت في العصر العباسي ثورة فكرية كبيرة ، عنيت بالدراسات والعلوم والآداب، حيث زخر التراث العربي بأشكال نثرية عديدة ومتنوعة، كانت محل اهتمام الدارسين شفهية كانت أو كتابية ، وقد عرف العصر العباسي الانفتاح على الثقافات الأخرى المجاورة، وقد ترجمت مجموعة من الآداب من اللغات الأجنبية بفضل ظهور حركة النقل والترجمة، ووفود عناصر أجنبية كالفرس الذين أثروا في الحياة العباسية ـ السياسية ، الاجتماعية والثقافية ـ حيث استحوذ الفرس على مناصب عدة في الدولة.

نشطت الكتابة في العصر العباسي وانبثق عنها جنس أدبي جديد عرف باسم توقيعات التي تعد لونا من ألوان الكتابة الأدبية النثرية ، وظفه الخلفاء والوزراء في تسيير الشؤون السياسية والإدارية للدولة ، ازدهر هذا الجنس وأستوى في العصر العباسي بفضل إنشاء ديوان خاص به ، حيث تطورت التوقيعات وتنوعت موضوعاتها وخصائصها الفنية. ، ومن الفنون النثرية التي إستهوتنا "فن التوقيعات" ، وهذا موضوع بحثنا الموسوم "بالتوقيعات موضوعاتها وأهم خصائصها الفنية في العصر العباسي".

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي الذي ارتأينا أنه الأنسب والأصح لمثل هذه الدراسة، بالإضافة إلى المنهج التفكيكي وكذلك اعتمدنا على آلية الوصف والتحليل.

نزعم أن التوقيعات لم تنل حظها من البحث والدراسة، حيث تولد لدينا الفضول في معرفة وتقصي خبايا هذا الفن الأدبي الجديد، وهذا كان الدافع الأكبر وراء اختيارنا للتوقيعات كموضوع بحثنا.

قد حاولنا من خلال بحثنا الإجابة على الإشكالية الرئيسية التي اتخذناها نقطة انطلاق دراستنا لهذا الفن المتمثلة:

ـ فيما تمثلت موضوعات التوقيعات في العصر العباسي ؟. وما هي أهم خصائصها الفنية ؟. وأبعادها الدلالية؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات سطرنا خطة حاولنا من خلالها الإلمام بموضوع بحثنا ، وقد مهدنا بمدخل تحدثنا فيه عن العصر العباسي والتغيرات التي طرأت فيه ، كما قسمنا بحثنا إلى فصلين ، الفصل الأول وهو عبارة

عن تأسيس نظري عنوناه "فن التوقيعات بحث في الماهية والأهمية"، أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا بعنوان "فن التوقيعات في العصر العباسي موضوعاتها وخصائصها الفنية".

ولقد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من الكتب أهمها: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت ، خاص الخاص للثعالبي ، العقد الفريد لابن عبد ربه ، كتاب بغداد لابن طيفور والوزراء والكتاب للجهشياري.

وقد اعترضنا في بحثنا هذا بعض العراقيل والصعوبات مثل أي باحث منها: ضيق الوقت وعدم التحصل على بعض الكتب التي تناولت التوقيعات وتطرقت إليها بشكل أعمق وأدق ، فحاولنا جاهدين تخطيها ولله الشكر.

ونتوجه في الختام بجزيل الشكر ـ بعد الله عز وجل ـ إلى أستاذنا المشرف "صلاح الدين باوية" الذي لم يبخل علينا بالتوجيهات والنصائح منذ بداية هذا البحث إلى نهايته ، والذي منحنا جل وقته حفظك الله أستاذنا وزادك علما ونورا ، كما نتقدم بالشكر كذلك إلى رئيس قسم اللغة وآدابها ، ولا يفوتني كذلك بالشكر الخاص والتقدير إلى كل أساتذة وعمال كلية الآداب واللغات ، وإلى كل من قدم يد المساعدة من قريب أو من بعيد ولو بالتوجيهات والنصائح.

ونسأل الله التوفيق والسداد

مدخل:

العصر العباسي وأهم التغيرات التي طرأت عليه

يعتبر العصر العباسي من أزهى العصور الإسلامية ، إذ طرأت عليه مجموعة من التغيرات التي أعطت لهذا العصر نقلة نوعية في مختلف الجوانب– سياسية، واقتصادية ، ثقافية ، اجتماعية وعمرانية – هذا التطور والتحول الذي صار إليه ساهم بشكل كبير في تنوع الفنون ، وكذا وفود العناصر الأجنبية الدخيلة أثر في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في هذا العصر، وامتزاج الثقافتين العربية والفارسية له الجانب الأكبر في تحول الحياة آنذاك «هذا العصر بعهديه هو أزهى عصور الإسلام ، وصفحاته المشرقة أنصع الصفحات في التاريخ السياسي والأدبي للعرب»[1]، فهو يعتبر من أهم العصور الإسلامية تطورا وازدهارا حتى وصل الأدب إلى أوج رقيه حتى سمي بالعصر الذهبي ، وذلك لتطور الحياة بمختلف مناحيها على غرار ما كانت عليه في العصور السابقة –الجاهلي والإسلامي والأموي –، « فهو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد »[2] ؛ ففي هذا العصر حدث تطورا كبيرا في العمران وكذلك ظهرت مجموعة من الفنون التي ألحقت تطورا في الحضارة العربية ولاسيما عندما امتزجت حضارة العرب بالحضارات الأخرى ، «أما الدولة العباسية فقد اصطبغت بصبغة فارسية» [3]؛ أي أنّ العرب تأثروا بالفرس وأخذوا عنهم العلوم والثقافة وحاكاهم الخلفاء في نمط معيشتهم وأفكارهم ، وتأثروا بهم أيما تأثر هذا جلي في مظاهر الحياة التي شاعت بينهم في تلك الفترة ، إذ تقلد الفارسيون مناصب عدة في الدولة، وذلك لكفاءتهم وبراعتهم البلاغية وقدرتهم الكتابية ، وكذا «أثر الفرس في الأدب العربي كبير فهم الذين أشاعوا فيه اللهو والمجون ووصف الراح وأدب الزهد .. » [4]، حيث أضاف الفرس إلى الأدب العربي أمورا لم تكن موجودة من قبل كاللهو والمجون ، وشيوع الغناء ، والترف ومجالس الطرب ، والقيان والمغنيات .

---

[1] حمد عبد المنعم خفاجي ، الآداب العربية في العصر العباسي الأول ، دار الجيل ، بيروت ، د ط ، 1992م، ص 03.

[2] أحمد حسيني الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص 210.

[3] المرجع نفسه ، ص 211 .

[4] محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، مصر ، ط1، 2004م، ص 35.

هذه من العوامل التي أثرت سلبا في العصر العباسي وابتعاد الخلفاء عن الدين والسياسة والأدب وانصب اهتمامهم على اللهو والاستمتاع وشرب الخمر ، وهذا ما أضعف الدولة .

ولا ننسى دور العنصر الفارسي في الأدب العربي الذي كان له دورا هاما في ظهور بعض الفنون النثرية التي لم تكن موجودة من قبل ، وكذا بروز كتاب فارسيين كان لهم الفضل أيضا في تطوير الكتابة آنذاك ، «فلما نشطت الحركة العلمية في العصر العباسي أخذت طائفة ممن يجيدون اللسانين الفارسي والعربي ، ينقلون الكتب من الفارسية إلى العربية» [1]، هذا العامل ساعد في ثراء الأدب العربي ونقل العلوم الفارسية وثقافتهم وامتزاج اللغة العربية مع اللغة الفارسية كان لها نصيب في رحم الثقافة العربية ، «وكان كثير من الفرس على هذا النحو حذقوا الفارسية والعربية وتثقفوا الثقافتين ، وأنتجوا في الأدب العربي نتاجا جديدا ... » [2].

على غرار تطور الكتابة الإنشائية في ذلك العصر وبروز كتاب أجادوا صنوف الكلام وضروبه ، ظهر جنس جديد من الكتابة الفنية أطلق عليه تسمية "التوقيع" هذا النوع كان موجودا منذ العصر الإسلامي –عهد الخلفاء الراشدين –والعصر الأموي وقد وصلتنا توقيعات لهم،« لكن قد سال سيل التوقيعات في عهد بني العباس وكان أكثر الكتاب والوزراء فرسا فساروا فيها على سنن آبائهم ، وكثر ذلك حتى أنشئوا فيما بعد ديوانا سموه " ديوان التوقيع" » [3] ، أي أن الفضل يعود في ازدهار وانتشار التوقيعات للفرس الذين ساهموا بشطر أكبر في هذا الفن الذي قوي بعد تغلغل نفوذهم واختلاطهم بالمجتمع وتقليدهم مناصب عدة في الدولة ، ونيلهم حضوة من طرف الخلفاء لتقربهم منهم لأنهم «كانوا يعنون بالبلاغة عناية كبرى ، كان لهم فيها تأليف ...»[4]فهم أهل للبلاغة ، «فقد جرت عادة الملوك والولاة من الفرس أن يوقعوا على هذه القصص بعبارات بليغة أو حكمة حكيمة ،

---

[1] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، د ط ، د ت ، ص 171 .

[2] المرجع السابق ، ص 173 .

[3] المرجع نفسه ، ص 181 .

[4] المرجع نفسه ، ص 180 .

يتخيروا لها أحسن اللفظ وأجود المعنى ...وقد نقل إلى أدبنا العربي الشيء الكثير من توقيعات ملوك الفرس »[1]، ويتضح لنا أن هذا الفن موجود عند ملوك الفرس يتخيرون له أحسن اللفظ وأجود المعنى بعبارات قصيرة وبليغة «وقد برع في هذا الفن الكتابي في العصر العباسي خلفاء عباسيون كالسفاح ، والمنصور ، والمهدي ، والرشيد ، والمأمون وعبد الله بن المعتز ، ووزراء كجعفر البرمكي ، والفضل بن سهل ، وجهابذة كتابهم وقواد مفوّهين كأبي مسلم الخراساني وسواهم »[2] ، هذا الفن أصبح قبلة ذوي الجاه والسلطان فقد وظفوه في اتحاد القرارات وإصدار الأوامر وتسيير شؤون الدولة ، واتساع رقعتها ، واختلاط العرب وأنصارهم مع الفرس شعبا وثقافة ، وتنوع العمران وظهور أصناف جديدة في الحياة العباسية والانفتاح على الحضارات المجاورة ، إضافة إلى كثرة التظلمات والشكايات المرفوعة من طرف الرعية وطلباتهم جعلت منها التوقيعات مادة خصبة لازدهارها إذ كانت تستعمل في المعاملات السياسية والإدارية والمراسلات بين الخلفاء والولاة في الولايات الأخرى ، « وكان تشجيع الخلفاء والوزراء والرؤساء وللأدب وللكتاب باعثا على النهوض بالكتابة داعيا ارتفاع شأنها وسهو منزلتها ...» [3]، هذا العامل ساهم في نمو التوقيعات إذ لاقت اهتماما وتشجيعا من قبل الخلفاء والوزراء وتسهيلا لأمور الكتاب ، ولذا تبوأ الكتاب منزلة عند الخلفاء جعلتهم يتنافسون فيما بينهم ، وحصولهم على مكانة رفيعة في البلاط ، وتقليدهم منصب الوزارة كان حافزا لهم في البراعة في التوقيع والإلمام بضروب الكلام وأشكاله .

---

[1] أحمد أمين ، المرجع السابق، ص 180 .

[2] عثمان سعد علي عمر ، فن التوقيعات الأدبية العباسية ، المجلة الليبية العالمية، العدد السادس والعشرون ، جامعة بنغازي ، ليبيا، 25 أغسطس ، 2017 م ، ص 3 .

[3] محمد عبد المنعم خفاجي ، الآداب العربية في العصر العباسي ، الأول ، ص 312 .

الفصل الأول:

فن التوقيعات بحث في الماهية والأهمية

المبحث الأول: نشأة التوقيعات البواعث والموضوعات

المطلب الأول: بحث في نشأة التوقيعات

أولا: ماهية التوقيعات

لأجل البحث عن ماهية التوقيعات لغة فقد جاءت من الفعل وَقَّعَ، وأورد "ابن منظور" في لسان العرب معانٍ كثيرة:«سَمِعْتُ وَقْعَ المطر وهو شدة ضربه الأرض إذا وَبَلَ، ويُقال سمعت لحوافر الدواب وَقْعًا ووقوعا»[1]؛ أي أن الدواب تترك أثرا على الأرض أثناء سيرها، وأورد أيضا معانٍ متعددة:«فالتوقيع رَمْيٌ لا تباعده، كأنّك تريد أن توقعه على شيء»[2]، وكذلك «التوقيع الإصابة...، والتوقيع: تظني الشيء وتوهُّمُهُ »[3]؛ أي بدل الجهد لاختيار الصواب،« والتوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه الفراغ منه»[4]؛ فالكاتب يلحق عبارات بعد الانتهاء من كتابة النص الأصلي.

ونقل "ابن منظور" من الأزهري تعريفا آخر وهو: «توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يحمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول، وهو مأخوذ من توقيع الدبر بين ظهر البعير، فكان الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه وما يؤكده ويوحيه»[5]؛ أي أنه شبه العبارات المكتوبة بين ثنايا السطور بدبر البعير.

وأورد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في كتاب العين:«وقع: الوَقْعْ: وقعته الضرب بالشيء، ووَقْعُ المطر، ووَقْعُ حوافر الدابة، ويعني ما يُسمع من وقْعِه، ويقال للطير إذا كان على أرضٍ أو شجرٍ: هُنَّ ووقُوعٌ وَوَقْعٌ»[6]، وذكر

---

(1) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (مادة وقّع)، مج 15، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م، ص260.

(2) المرجع نفسه، مج 15، ص261.

(3) المرجع نفسه، مج 15، ص261.

(4) المرجع نفسه، مج 15، ص262.

(5) المرجع نفسه، مج 15، ص262.

(6) الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (مادة وقع)، مج4، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص392.

أيضا:«التوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه، وتوقَعْتُ الأمر، أي انتظرته»[1]. وعرّفه أيضا: «التوقيع سَحْجٌ بأطراف عظام الدابة عند الركوب ربما تحاص عنه الشعر» [2]، من خلال تعاريف الخليل بن أحمد الفراهيدي تبيَّن لنا أن التوقيع هو الأثر الذي يتركه في الشيء.

أما "ابن فارس" يعرف التوقيع في معجم مقاييس اللغة:«وقَّع الغيث: سقط متفرقا ومنه التوقيع هو أثر الدبر في ظهر البعير، والتوقيع ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه»[3].

ومن خلال التعاريف اللغوية السابقة للتوقيع يتضح لنا أنها تتفق في معناها اللغوي في مادة وقع وهو ترك الأثر في الشيء، وكذلك ما يلحقه الكاتب بعد الفراغ من كتابة النص الأصلي، وهو يتقارب مع المعنى الاصطلاحي.

أما من حيث تعريف ماهية التوقيعات اصطلاحا، فقد عرفها ابن خلدون:«من خطط الكتابة التوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في حكمه وفصله ويوقّع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها متلقات من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه، فإما أن تصدر كذلك وإما أن يحذُوَ الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة ويستقيم بها توقيعه» [4].

ويقول "القلقشندي": «أما التوقيع فهو الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة، والتحدث في المظالم، وهو أمر جليل، ومنصب حفيل، إذ هو سبيل الإطلاق والمنع، والوصل والقطع، والولاية والعزل إلى غير ذلك من الأمور المهمات والمتعلقات السّنية، وأعلم أن التوقيع كان يتولاه في ابتداء الأمر الخلفاء، فكان الخليفة هو الذي يُوقّع في الأمور السلطانية، وفصل المظالم وغيرها».[5]

---

[1] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، المرجع السابق، ص392.

[2] المرجع نفسه، ص392.

[3] ابن فارس أحمد بن زكرياء أبو الحسن الرازي، مقاييس اللغة، (مادة وَقَعَ)، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1971م، ص642.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، مقدمة، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م، ص184.

[5] القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي، صبح الأعشا في صناعة الإنشا، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، 1922م، ص110-111.

كما عرفّه "ابن فارس"، وهو أول من أشار إلى المعنى الاصطلاحي للتوقيع قائلا: «من التوقيع ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه» [1]، ويضيف أخر في قوله: «التوقيع فن بليغ من فنون النثر ولون رائع من ألوان الكتابة، وهو عبارة موجزة بليغة يكتبها الخليفة أو الأمير أو الوزير في أسفل الكتب الواردة إليه، لإبداء الرأي فيما يرفع إليه من شكوى أو يقدم إليه من رجاء أو يستشار فيه من أمر»[2].

ويعرفه "محمد نبيه حجاب":«ويراد بها التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها مع التعليل لذلك بأية قرآنية أو حكمة سائرة أو قول محكم من إنشاء الكاتب بأسلوب موجز دقيق وربما بلغ بالإيجاز حد الإعجاز». [3]

أما" مجدي وهبة" و"كامل المهندس" فقد عرفاها بقولهما:«التوقيع في الأدب العربي هو رأي الحاكم يكتبه على ما يقدم إليه من شؤون الدولة، وكانت التوقيعات تتكون من جمل موجزة بليغة يكتبها الخلفاء العباسيون على ما يقدم إليهم من ظُلامات الرعية وشكاوها مُحاكاة لملوك الفرس ووزرائهم. مثال ذلك توقيع السفاح في كتاب جماعة يشكون إليه احتباس أرزاقهم: «من صبر في الشدة شارك في النعمة»[4].

ويعرفها أيضا "شوقي ضيف" في كتابه: «وهي عبارات موجزة بليغة، تعوّد ملوك الفرس ووزرائهم أن يوّقعوا بها على ما يقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاوهم، وحاكاهم خلفاء بين العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع».[5]

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، مج2، ص642.

[2] أبو ليل أمين، ربيع محمد، العصر العباسي الأول، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، د ط، 2009م، ص224.

[3] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ط2، 1986م، ص96.

[4] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص127.

[5] شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط8، د ت، ص489.

نستخلص من التعاريف السابقة أن التوقيع نوع من أنواع الكتابة وهو عبارة موجزة تصدر عن فئة خاصة في المجتمع (الوزراء، الرؤساء، الخلفاء، الولاة، القادة...)، ردا عن شكوى الرعية بأسلوب بليغ، وهي تحمل إيحاءات ومعانٍ كثيرة، وهو تعليق يكتب في أسفل الكتب الواردة إليه.

ثانيا: نشأة فن التوقيعات:

تزامن ظهور فن التوقيعات مع ظهور الكتابة، لذلك لم يكن هذا الفن موجودا في العصر الجاهلي، إلا بعد ظهور الإسلام، «وهذا ما دعا عددا من الدارسين إلى عزو ظهور هذا الفن إلى أثر الثقافة الفارسية فيه مظاهر الحياة في المجتمع العباسي، ومن ثم تطورت هذه الثقافة الرافدة على عاصمة الخلافة في بغداد» [1].

وهناك من يرى أن البوادر الأولى لنشأة هذا الفن أنه:«موجود من قديم في الأدب الفارسي»[2]، أي أنهم أخذوا هذا الفن عن الحضارة الفارسية وهو «محاكاة لملوك الفرس ووزرائهم» [3]، وهناك من يرى أن التوقيعات العربية أثر عربي خالص وأنها جاءت من العقلية العربية، ونشأت في أحضان البيئة العربية «وقد ظهرت التوقيعات في الأدب العربي في صدر الإسلام عند الخلفاء الراشدين» [4].

واستند هؤلاء الدارسون في إثبات أنّ التوقيعات فن عربي إلى مجموعة من الأدلة أهمها "أن أول توقيع عُرف كان لعمر بن الخطاب أمير المؤمنين حين كتب إليه سعد بن أبي وقاص يستأذنه في بناءٍ، فوقّع له عمر بن الخطاب رضي الله عنه:« ابْنِ ما يكنّك من الهواجر وأذى المطر» [5].

---

[1] عثمان سعد علي عمر، فن التوقيعات الأدبية العباسية، المجلة الليبية العالمية، العدد السادس والعشرون، 25 أغسطس 2017م، ص04.

[2] أمين أبو الليل، محمد ربيع، العصر العباسي الأول، ص225.

[3] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص127.

[4] مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2009م، ص127.

[5] أمين أبو الليل، محمد ربيع، العصر العباسي الأول، ص225.

وقد شهد هذا العصر توقيعات كثيرة للخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية،«وهذا الفن قد نضج واستحكم وقوي في عصر نفوذ الخلفاء، ونبغ فيه كثير من أعلام الكتاب وفحول البلغاء وروي منه الكثير» [1]؛ أي أن الكتاب في هذا العصر كانوا يتنافسون في إيجاد هذا الفن، حتى اكتست توقيعاتهم روعة في الإيجاز والبلاغة، وقوة في التعبير وحسن التصوير.

واستمر الميل إلى الإيجاز في العهد العباسي لاسيما في صدر الدولة العباسية حتى كان جعفر بن يحي البرمكي يقول لكتابه «لو استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فأفعلوا» [2]، وهذا يعني أن العرب يميلون إلى الإيجاز بدليل قول يحي البرمكي السابق الذكر.

يعتبر العصر العباسي المرحلة الحقيقية التي نمت فيها التوقيعات وازدهرت وذاع صيتها، إضافة إلى ذلك ازدهار فن الكتابة وبروز كتاب في هذا المجال برعوا في الإنشاء والترسل، ويجيدون الكتابة، ويبرعون في التوقيع حتى أنشئ ديوان خاص بالتوقيعات، ويرجع ازدهار التوقيعات إلى التطور الحاصل في الدولة العباسية والتحضر الثقافي والعمراني وهذا بفضل اتصال وامتزاج حضارة العرب بالحضارات الأخرى، «استقبل العرب في هذا العصر حضارة جديدة وهي مزيج من الحضارة الإسلامية بحضارتي الفرس والروم» [3]، وهذا الاتصال جعل من الحضارة العربية متنوعة إذ اختلط العرب بالفرس والأتراك بدليل أن بعض الوزراء كانوا من الفرس، ومما لاشك فيه أن التوقيعات قد انتشرت واتسعت رقعتها بعدما كانت بذورها من العصور السابقة، واستمرت حتى العصر العباسي الأول الذي بلغت فيه التوقيعات ذروة التطور والإزدهار والإنتشار، حيث لاقت إقبالا كبيرا من الخلفاء والوزراء وحتى الكُتاب فأبدعوا فيها وبقيت مزدهرة حتى العصر العباسي الثاني،«الذي قَلَتْ التوقيعات لجهل الأتراك بهذا الفن وشيّعه

---

[1] أمين أبو الليل، محمد ربيع، العصر العباسي الأول، ص225.

[2] عمر عروة، النثر الفني القديم أبرز فنونه وأعلامه، دار القصبة للنشر حيدرة، الجزائر، د ط، 2000م، ص39.

[3] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص81.

الخلفاء لعدم تسلمهم مقالد السلطة» [1]، بعد مجيء الأتراك تراجع الِاهتمام بهذا الفن لجهلهم له وتضييعه في المقابل عدم تسلم الخلفاء العرب الحكم.

ثالثا: أهمية فن التوقيعات:

أسهمت التوقيعات الأدبية منذ القديم في إرساء معالم الدولة وتوجيهها في صدر الإسلام وعصر بني أمية ودولة بني العباس وهي تمثل النهج البلاغي في العصور الإسلامية، وهي تعكس قدرة الحكام والولاة والكتاب في التعبير والبلاغة والصنعة الكلامية، ولاقت التوقيعات اهتمام كبير لدى العرب في العصر العباسي، «أنْ خصصوا لها قلما محددا في ديوان الإنشاء سمي قلم التوقيعات» [2]؛ أي أن التوقيعات تختص بفئة خاصة من الشعب وهم الحكام والولاء والسلطان والوزراء، يتم تداولها في الأوساط السياسية وهي وسيلة كانوا يستخدمونها في حل النزاعات والشكاوي المرفوعة إليهم من قبل الرعية والنظر فيها والحكم عليها، «وإذا وقّع الناظر في قصص المتظالمين إليه بالنظر بينهم»[3]؛ إذ كانت تستعمل في الفصل بين المظالم وتسيير أحوالهم.

كما نجد للتوقيعات أهمية بالغة في تعيين القضاة «كانت تنعقد بها الولاية وتبنى عليها شرعية تعيين القضاة»[4] ، لما لها من شرعية لجواز صحة الولاية والسلطة في اتخاذ القرارات وإصدار الحكم عن طريقها إما عن طريق الخلفاء أو يوكلون التوجيه أو التوقيع إلى بعض الكتاب البلغاء تحت إشرافهم حيث نجد "جعفر بن يحي البرمكي" أشتهر بكثرة توقيعاته وبلاغتها حتى أنها كانت تنسخ، والواضح «أن البلغاء كانوا يتنافسون في الحصول على توقيعات جعفر البرمكي ولم يدركوا أهميتها الفنية واحتوائها على ضروب من التعبير البلاغي الجدير بالحفظ

---

[1] أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2009م، ص223.

[2] القلقشندي، صبح الأعشا في صناعة الإنشا، ج3، تح: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1، د ت، ص128.

[3] الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري، الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2006م، ص151.

[4] عبد الكريم حسين رعدان، فن التوقيعات في الأدب العربي، جامعة حضرموت، كلية التربية، سقطرى، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد الرابع والثلاثون يناير، يونيو، 2012م، ص237.

والاستشهاد به وقت الحاجة»[1]، وهذا دليل على أن البرمكي كان شديد الميل للتوقيعات حتى أنّ توقيعاته كانت تباع وهذا ما أورده ابن خلدون في مقدمته:«كان جعفر بن يحي يوقّع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافس عليها البلغاء في تحصيلها... حتى قيل أنها كانت تباع كل قصة منها بدينار»[2]؛ أي أن توقيعات البرمكي لها أهمية بالغة، فكان بارعا في التوقيع حتى أن البلغاء حاولوا تقليد توقيعاته والنسج على منوالها.

واتسمت التوقيعات بخصوصية إذ كانت تكتب بخط خاص بها، حيث أن «من يتابع مسيرة التوقيعات سيجد أن لها خصوصية لدى القادة والكتاب، فهي تكتب بقلم معين، وخطوط خاصة يخطها الكتاب، ويحتفظون بسيرتها، ويحرصون على أن لا يطلّع على خط صاحب التوقيع وكاتبه أحد حتى يأمنون عدم تزوير تلك التوقيعات»[3]؛ أي أن ذكر قادة أو كاتب توقيع خاص به وأسلوب معين، وهي توقيعات سرية فلا يمكن لأي أحد الإطلاع عليها واستعمالها مخافة تزويرها.

وقد ظهر هذا الفن عند العرب واختصوا به، أي أن «أدب التوقيعات في تراثنا العربي غني جدا، ربما تفرد به العرب عن سواهم من الأمم، وهو يشير إلى حضور البديهة ودقة الفهم»[4]، وهذا دليل على أن العرب كانوا يتميزون بقوة البديهة وملكة لغوية واسعة يستطيعون أن يعبروا عن شيء بإيجاز ودقة، وقد تميزوا بهذا الفن عن غيرهم من الشعوب الأخرى.

ساهمت التوقيعات في فك الكثير من النزاعات وحل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فبفضلها زادت من تماسك أفراد المجتمع، وقضت على كل أشكال الظلم وساعدت على فك النزاعات بين الرعية، فهي الوسيلة التي تواصل بها الخلفاء والوزراء مع الولاة في الولايات الأخرى وكذا الرعية، فهي همزة وصل بين الحكام والمحكوم

---

(1) مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص129.

(2) ابن خلدون، مقدمة، ص184.

(3) عبد الكريم حسين رعدان، فن التوقيعات في الأدب العربي، مجلة الدراسات الاجتماعية، ص236، 237.

(4) علي شلق، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، ج3، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص525.

المطلب الثاني: بواعث ازدهار التوقيعات في العصر العباسي

شهد العصر العباسي عدة تحولات وصلت إلى ذروة التطور والإزدهار، ولاسيما في الأدب، فقد عرف هذا العصر حركات ثقافية وتيارات فكرية وانفتاح على الحضارات المجاورة؛ وامتزاج العرب مع العجم في مختلف أصعدة الحياة، ونفوذ العناصر الفارسية في الدولة الفارسية، تقلد الفرس في هذا العصر مناصب في الدولة، حيث تأثر العرب آنذاك بالفرس وبالأنظمة السياسية السائدة عندهم وبآدابهم، بما فيها التوقيعات، وكان لهم الفضل الكبير في تطورها وازدهارها، فقد أضاف كتاب الفرس بعض التطورات عليها، وهذا لا يعني أن العرب أخذوا هذا الفن عن الفرس.

ومن دواعي ازدهار التوقيعات وتطورها في هذا العصر، كثرة الدواوين وتنوعها (ديوان الخراج، ديوان الرسائل ديوان الشرطة...)، وكذا نُظُم الحكم السياسي والإداري للدولة العباسية، وكثرة الكتاب والبلغاء الذين اهتموا بهذا الفن وأولوه عناية فائقة.

اهتم العباسيون بالتوقيعات اهتماما كبيرا حتى أنشاؤا ديوانًا خاصًا بها عرف باسم "ديوان التوقيع"، تَمَ إنشاؤه من أجل تدوينها وترتيبها، وهذا راجع إلى كثرة هذه المشكلات وكثرة المراسلات بين الرعية وأولياء الأمر التي تحتاج إلى قرارات سريعة وقد لا يستطيع الخليفة أو الوزير الرد عليها والفصل فيها.

وهذا ما أورده "الجهشياري" في كتابه الوزراء والكتاب يقول: «حدثني علي بن الجنيد قال: كانت بيني وبين يحي بن خالد مودة وأنس، فكنت أعرض عليه الرقاع في الحوائج فكثرت رقاع الناس عندي واتصل شغله فقصدته يوما فقلت له: يا سيدي قد كثرت الرقاع (...)، فإما تطولت بالنظر فيها وإما رددتها فقال لي: أقم عندي حتى أفعل ما سألت فأقمت عنده، وجمعت الرقاع في خفي(...)ودعا هو بالرقاع من خفي فوقع في جميعها»[1]، بالنظر

[1] الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 2003م، ص188.

إلى قول الجهشياري فقد كانت كثرة الرقاع تصعب على الوزير أو الخليفة الرد عليها جميعا، لهذا أنشئوا لها ديوانًا وَوظفوا كتّابًا في هذا المجال كي ينظروا فيها ويردوا على تلك القصص والرقاع.

وكثيرا ما كان رعايا الدولة العباسية في الولايات الأخرى يتعرضون لألوان الظلم والتسلط أو الاعتداء فيلجأ ون إلى مَن هم أعلى مرتبة مِنْ خليفة أو وزير أو والي يشكون إليهم ويطلبون منهم النظر في مطالبهم، راجين منهم قضاء حوائجهم وتلبية مطالبهم فيرسلون الرقاع والقصص إلى أولي الأمر أملا في مساعدتهم وإنصافهم.

وكان يشرف على التوقيعات عدد من الكتاب يقومون بالتوقيع على الكتب المرفوعة إلى الخلفاء، وقد زاد نفوذ الموقّعين، لكثرة المراسلات وانشغال الوزير والخليفة بشؤون البلاد والعباد، منحوا مسؤولية تولي الرد على الرقاع للكتاب، ويذكر "الجهشياري" في كتابه:« ولم تزل كتب الملوك والرؤساء تجري في التوقيعات على أن يوقع الرئيس في القصة بما يجب فيها، ويذكر المعاني التي يأمر بها، ولم يكن للكتاب في ذلك الأمر شيئًا أكثر من أن يكتبوا لتلك الجملة من التوقيع ألفاظا تشرحها، ويقرّب من العامة فهمها ولا تخرجها عن معنى قصد الرئيس(...)».[1]

حظي هذا الديوان باهتمام من طرف الخلفاء والوزراء، فقد كانوا يوقعون بأنفسهم في هذا المعنى يقول القلقشندي:«وأعلم أن التوقيع كان يتولاه في ابتداء الأمر الخلفاء فكان الخليفة هو الذي يوقع في الأمور السلطانية، وفصل المظالم وغيرها...».[2]

في بداية الأمر كان الخلفاء هم المسؤولون عن التوقيع أو يوكلون المهمة إلى كتاب آخرين، ثم أصبح لكل خليفة كاتبًا خاصًا به يثق به، إذ صار التوقيع مهنة تقتصر على فئة خاصة من الناس لهم القدرة والمهارة في الإنشاء والتعبير، وجودة الصياغة، وإصابة المعنى، وهي من الشروط التي لابد أن يتصف بها كاتب التوقيعات.

---

[1] الجهشياري، المرجع السابق، ص210.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص111.

وورد في كتاب مواد البيان "لعلي بن خلف":« أما صاحب التوقيع، فلا يحتمل تقصيره في شيء بالجملة، لأنه يد السلطان ولسانه...وينبغي أن يكون مع تحصيل هذه الأدوات كلها حسن الخط، سريع البديهة، دَيّنًا، أمينًا نَزِهَ النفس، لا يخرج عمّا يؤمر به، ولا يتعداه لغرض من الأغراض كلها»[1].

من خلال قول "علي بن خلف"، لابد أن تتوفر في الموقّع شروط ومواصفات يتحلى بها، كما أنه ذكر تلك الشروط ومنها: أن يكون حسن الخط، سريع البديهة ويتصف بالنزاهة والأمانة متدينًا ومُطيعًا.

عرفت التوقيعات العربية تطورا كبيرا في العصر العباسي، وذلك راجع إلى عوامل ساهمت في ازدهارها وانتشارها، وتمخض عن ذلك ثراء في التوقيعات وتنوع أساليبها هذا من جهة، ومن جهة أخرى برز كتاب برعوا في هذا المجال، وبلغت التوقيعات قمّة التطور حتى خصصوا لها ديوانًا، من شأنه تنظيم المكاتبات الإدارية والسياسية والكتاب، التي جعلت منهم يحظون بمنزلة رفيعة ومرموقة ومكانة عالية عن غيرهم مِنَ الكتاب، وكذا نشوء منافسات بين كتاب التوقيعات على إنشاء أحسن توقيع وكذا المنافسة حول مناصب في الدولة؛ هذا الفن اهتم به الأشراف من الناس ذوي المكانة العالية في المجتمع مما جعله غنيًا عن غيره من باقي الفنون النثرية.

[1] علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 2003م، ص51.

المطلب الثالث: موضوعات التوقيعات

تنوعت التوقيعات وتعددت أغراضها، لتعبر عن فئة من الموضوعات وهذا راجع إلى كثرة الرقاع والقصص التي كان الرعية يرفعونها إلى الخلفاء، وكذا التطور الحاصل واتساع رقعة الدولة وكثرة الرعايا؛ وتنوع العمران؛ وتعقيد أمور الدولة والإدارة، كل هذا أدى إلى تنوع في الموضوعات التي كانت تكتب فيها التوقيعات.

فهذه المواضيع جاءت لتعالج القضايا المختلفة السائدة آنذاك وتدعو إلى الأخلاق الحميدة وإرساء دعائم الدولة وتطبيق العدل في الحكم، بغض النظر عن منزلة الرعية، وهذا يكشف عن التطور السياسي الحاصل ولم تكن التوقيعات تعالج موضوعا واحدًا وإنما عالجت أيضا موضوعات أخرى، ومن بين هذه الموضوعات التي تناولتها نجد:

أولا: الرد على الأعداء:

تناولت التوقيعات موضوع الرد على الأعداء، فقد كان الموقعون يعلقون على الرقاع والقصص التي ترد من طرف الأعداء، فهم يقفون ندًا لهم بكل ما أوتوا من قوة وشجاعة وعدة، فقد كانوا يشكلون خطرا على أمن الدولة وسلامة شعبها، فالحكام كانوا لا يهابون الأعداء وتهديداتهم متسلحين بالإيمان ونصرة الله لهم، وامتلاكهم العدة والجيش ودفاعهم عن الإسلام من التوقيعات التي تناولت الرد على الأعداء نجد توقيع "هارون الرشيد" إلى صاحب النصرانية بالروم: «أنا بالأثر وعلى الله الظفر» [1]؛ فهارون الرشيد لم يَهَبْ من صاحب النصرانية وتوعده بالعدة والجيش والهزيمة مؤمنا بِنُصْرة الله له.

ثانيا: الرد على المتظلمين:

كان الحكام يسعون إلى إقامة نظام العدل ونصرة المظلومين وإعطائهم حقهم، والرد على الظالمين ومعاقبتهم، فكان المتظلمون يبعثون بالرقاع إلى ولي أمرهم في الدولة يستنجدون بهم لكف الظلم عنهم من قبل وال أو مستبد أو قائد؛ الذين تغريهم السلطة، ويغتصبون حقوقهم أو التأخر في دفع رواتبهم؛ والخليفة يقف مع

[1] أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، خاص الخاص، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1809م، ص69.

المظلوم ويسانده حتى يأخذ حقه، ويسعى دوما إلى إعادة الحق إلى أصحابه، ومن ذلك توقيع "جعفر بن يحي" في قصة رجل تظلم من بعض عماله:« أنا لمثله حتى ينصفك» [1]، فجعفر البرمكي يقف ندًا في وجه الظالم كي يكف عن ظلمه.

فالتوقيعات تعكس جانبا حضاريا من سياسة الخلفاء للرعية وإرساء قواعد الحكم الصحيح العادل يرضي الجميع ويعطي للدولة هيبتها، فالعدل شيمة من شيم الحكم الإسلامي فبفضله يطمئن الناس على أعراضهم برسوخ قواعد العدل، غير مهتمين بالظالم ومنزلته، إذا كان هناك من يردع الظالمين ويقف في وجوههم.

ثالثا: الرد على السجناء:

كان الخلفاء والحكام يسهرون على أمن وسلامة شعبهم، ومعاقبة المجرمين وسجنهم، وكان هؤلاء السجناء يكتبون القصص إليهم أملا في إطلاق سراحهم وتخليصهم من ظلمة السجن، لاشتياقهم للحرية فهم يريدون الخروج من السجن قبل وصول الأجل، لكن محاولاتهم باءت بالفشل لأن الخلفاء كانوا يرفضون طلبهم، وكل من ارتكب جريمة فعليه أخذ جزائه وعقابه، وأنّ هناك موعدًا محددًاً لإطلاق سراحه، ولا يجب التعدي على قوانين الدولة والحكم وأن سَجْنَهم لم يكن ظلما؟ وإنّما كان عقابا على الجرم الذي ارتكبوه، وسَجْنهم كان تأديبًا لهم حتى لا يعيدون الكرّة، والإساءة إلى الآخرين وإلحاق الأذى بهم، ومن ذلك توقيع أحمد بن أبي خالد وزير المأمون في رقعة سجين:« غررتنا بالله فحبسناك لله»[2]، وهذا الرد يبيّن للسجين بعض سجنه والغاية من سجنه.

رابعا: الرد على الشكاوي:

هناك نوع أخر من التوقيعات جاء على شكل رد الشكاوي على الرعية، إذ كانوا يبعثون إلى الخليفة أو الوالي أو الوزير في مشكلة مستعصية صَعُب عليهم حلها، لذلك عرضوها على أولى الأمر عليهم، من أجل النظر فيها وإعطاء حلول لها، فالسلطان أو الحاكم يسعى دوما لمساعدة رعاياه وتلبية مطالبهم ومنحهم حقهم وحمايتهم

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج4، تح: محمد التونجي، دار المدار الثقافية، د ب، ط1، 2009م، ص211.

[2] التوحيدي أبو حيان علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، ج6، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1988م، ص175.

ممن سلبهم أرزاقهم، فيجب عليه أن يكون مصدر ثقة رعاياه، يطمئنون على أنفسهم وأعراضهم وأرزاقهم، من ذلك توقيع أنوشروان على شكاية رفعت له أن عامل الأهواز قد جنى من المال ما يزيد على الواجب وأن ذلك يجحف بالرعايا، فوقع:« يرد هذا المال على هؤلاء الضعفاء، فإن تكثير الملك لماله بظلم رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما اقتلعه من قواعد بنيانه» [1]؛ فأنوشروان يأمر عامل الأهواز بإعطاء المال للضعفاء.

وأخذت الشكاوي منحى أخر فهي موجهة إلى الولي عليهم، ومن ذلك توقيع "المنصور" حين رفع إليه رجل يشكو عامله أنه أخذ حدًا من ضيعه وأضافه إلى ماله، وقع إلى عامله في رقعة متظلم:"إن أثرت العدل صحبته السلامة، فأنصف هذا المتظلم من هذه الظلامة"، فهو يأمره أن يعيد الحق إلى صاحبه.

وهناك أيضا شكاوي ضد العمال لعصيانهم، وعدم طاعتهم لرب العمل وتمردهم عليه، ومن ذلك ما وقع به "المنصور" الذي شكى إليه رجل من بعض عماله، فوقع في قصته إلى عامله:« أكفني أمره وإلا كفيته أمرك » [2].

ونجد أيضا شكاوي ترفع ضد الخدم لسوء طاعتهم وعصيانهم لأوامر سيدهم، من ذلك توقيع "جعفر بن يحي" في قصة رجل شكا بعض خدمه:« خذ بأذنه ورأسه فهو مالك»[3]، فهو يعطيه الحق في معاقبة خادمه.

ومن الشكاية أيضا ما رفعت لفك الحاجة أو الفقر ومن ذلك توقيع "زياد بن أبيه" في قصة رجل شكا الحاجة:«لك في مال الله نصيب أنت أخذه» [4]، زياد بن أبيه فك حاجة الرجل وأمر له بمبلغ من مال.

---

[1] التوحيدي، المرجع السابق، ج9، ص177.

[2] هاشم صالح مناع، روائع من الأدب العربي، العصر الجاهلي-الإسلامي- الأموي العباسي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1991م، ص315.

[3] الثعالبي، خاص الخاص، ص69.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص205.

خامسا: التوجيهات الإدارية والسياسية:

اتسعت التوقيعات إلى الأمور السياسية والإدارية، بهدف توجيه وتسيير شؤون الحكم وأمور الرعية فالخليفة يقوم بتنصيب الولاة والقادة على الولايات الأخرى، وبالتالي يكون هناك تواصل عن طريق التراسل فيما بينهم في أمور السياسية والإدارة التي تخص الولاية والرعية.

ومن التوقيعات التي كانت تدعو الولاة والقادة إلى حسن التسيير والتدبير والعدل بين الرعية والمساواة فيما بينهم وتطبيق شرع الله، كتب "أبو جعفر المنصور" على عمرو بن عبيد:« أبا عثمان، اعني بأصحابك، فإنهم أهل العدل وأصحاب الصدق، والمأثورين له، فوقع في كتابه:« ارفع علم الحق يتبعك أهله»[1]، فهو يخبره أن يطبق العدل ويرفع راية الحق يتبعه رعيته وأهل الحق.

كان الولاة والقادة صارمين في معاملة الرعية لجعل السيطرة عليهم وعدم الخروج عن طاعتهم تجنبا لإحداث الشغب والفوضى والتمرد ومن ذلك نجد توقيع "عبد الله بن سليمان بن وهب" في شأن عامل: «أنا قادر على إخراج النغرة من رأسه والوغرة من صدره والنخوة من نفسه»[2]، فهو قادر على معاقبة المتمردين وردعهم بكل الوسائل.

حرص الولاة على السير الحسن لشؤون الدولة والرعية ومساندتهم في وقت الشدة، فنجد "المهدي" في قصة قوم أصابهم قحط:«يقدر لهم قوت سنة القحط والسنة التي تليها»[3]، نجد المهدي حريصًا على تلبية حاجيات الرعية وإعانتهم في أزماتهم.

---

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، ج4، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص382.

[2] الثعالبي، خاص الخاص، ص72.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص205.

سادسا: الرد على الولاة والعمال:

استحوذ هذا الموضوع على العدد الأكبر من التوقيعات فقد تناول مضامين كثيرة كتعيين الولاة أو عزلهم لإساءتهم السلوك أو التصرف، وقّع "علي بن عيسى":«وليتك من عملي جليلا، وكنت حقيرا قليلا، ومهينا ذليلاً حصرًا كليلاً، فانصرف عليك اللعنة طويلا»[1]، فعلي بن عيسى عين والي في منصب جليل واتضح له أنه لا يناسبه هذا المنصب لأنه غير أهل لذلك.

أما فيما يخص العمال الذين أساءوا التصرف، وقع "ابن يزداد" في وزارته في عامل اعْتَدَّ، بباطل:«ما يبيّن لنا منك حسن أثر، ولا يأتينا عنك سار خبر، وأنت مع ذا تمدح نفسك، وتصف كفايتك والتصفح لأفعالك يكذبك، والتتبع لأثارك يَرُد قولك، وهذا الفعل إن اتكلت عليه وأخلدت إليه وعلقك الذّم، وألحقك العجز فليكن رائد قولك مصدقا لموجود فعلك، إن شاء الله» [2]، هذا العامل كان يمدح نفسه ويفتخر بها مع أن تصرفاته تعكس ذلك والتتبع لأفعاله يبيّن ذلك.

سارت التوقيعات منحى أخر غير التهديد بالعقوبة والعزل للعمال والولاة بل جاءت أيضا بالرضا وتأييدهم فنجد توقيع " هارون الرشيد" إلى بكار الزبيري يخبره بسر من أسرار الطالبين:«جزى الله الفضل، خير الجزاء في اختياره إياك، وقد أثابك أمير المؤمنين في مئة ألف بحسن نيتك» [3]، هارون الرشيد راضٍ عن بكار الزبيري.

سابعا: الرد على الوشاة والسُعاة.

يسعى أغلب الناس للتقرب من أصحاب الجاه والسلطان عن طريق الطاعة والتفاني في العمل، وهناك فئة أخرى تحاول التقرب منهم من أجل إحداث الفتنة والفوضى بالوشاية والسعاية فهم يحاولون إيصال كل كبيرة وصغيرة إلى الخلفاء والأمراء والمبالغة فيها، وكثيرا ما لاقت وشايتهم صدًا من طرفهم عكس ما توقعه هؤلاء السعاة

---

[1] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج5، ص54.

[2] المرجع نفسه، ج6، ص206.

[3] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص367.

والوشاة، ونجد "الخليفة السفاح" يرفض هذه الوشايات، إذ كتب بعض السُعاة إليه فوقع: «تقربت إلينا بما باعدك عن الله ولا ثواب لمن خالف الله»[1]، فهو يخبره أن هذا السلوك مخالف لأوامر الله ونواهيه، وهو منافٍ لمكارم الأخلاق.

وكان بعض الموقعين يتحققون من صدق الوشاية، ما وقّعه "طاهر بن الحسين" في رقعه متنصح:﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [2]،سورة النمل آية27؛ فهو ينتظر التحقق من الوشاية أكانت صادقة أم كاذبة ؟.

وأحيانا كان الحكام غير مبالين بتلك السعاية والوشاية، فوقّعّ "الصاحب بن عباد" في قصة ساعٍ: «جمعت قصتك شكاية وسعاية أما الشكاية فأنت محمول فيها على الحكم البحث، وأما السعاية فمردودة على أدراج المقت»[3]، فالصاحب لم يكترث لسعاية ذلك الرجل فاعتبرها مردودة.

ثامنا: الرد على العصاة والمتمردين:

عالجت التوقيعات موضوع الرد على العصاة والمتمردين فقد كانت هذه الفئة تشكل خطرا على الدولة وأمنها، فقد كان الموقعون يستعملون الحزم والشدة لردع هذه الفئة الخارجة عن القانون؛ والوقوف ندًا لهم، من ذلك توقيع "طاهر بن الحسين" في قصة قوم شغبوا على عاملهم:«الشغب للفرقة سبب فلتمح أسمائهم، وتحسن أدأبهم، وتقطع بالنفي آثارهم»[4]، فهو يخبر عامله أنه لابد من استعمال القوة والصرامة مع هؤلاء المتمردين والعصاة.

اتسمت أيضا طائفة من توقيعات هؤلاء المتمردين بالمفسدين والمجرمين، وهذا ما نجده في توقيع المقتدر وقد شغب عليه العسكر وأرادوا تنحيته من منصبه فوقع:«أنا مستسلم لأمر الله غير مُسَلِم حقا خصني به الله

---

[1] الثعالبي، خاص الخاص، ص69.

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص390،

[3] الثعالبي، خاص الخاص، ص73.

[4] ابن طيفور أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب، كتاب بغداد، تح: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، د دار النشر، د ب، د ط، 1949م، ص73.

رفعة، فأغفل ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولست انتصر إلا بالله لما أؤمله من الفوز في دار الآخرة، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾سورة النحل،الآية128﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾سورة يونس،الآية81،﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾سورة الأنعام،الآية 147. وحسبي الله ونعم الوكيل، وعليه توكلت وهو رب العرش العظيم»[1]؛ فهو يرد عليهم أن الله خصه بهذا المنصب ولا يحق لأحد أن يعزله والنصر إلاَّ بالله، فهو لن يُسلم منصبه.

تاسعا: الرد على المستعطين.

يتوجه الناس إلى أصحاب الشأن وعلية القوم لطلب الصلات ويد العون طمعا منهم في المال والهدايا، وقد تفاوتت بين قبول طلباتهم ورفضها.

ففيما يخص قبول الصلات ما وقعه "الحسن بن سهل" حين كتب إليه رجل يتوسل بسالف إحسانه فوقع:«مرحبا بمن توسل إلينا بنا» وأمر له بصلة[2]، الحسن بن سهل يرحب بهذا المستعطي، وقبول طلبه.

فيما يخص رفضها، من ذلك توقيع "يحي بن خالد" حين عاود رجل التماس الصلة بعد أن أخذها مرة: «دع الضرع يَدُرُ لغيرك كما دَرَ لك»[3]، فهو يرفض طلبه لأنه أعطاه من قبل، وأخبره أن يترك فرصة لغيره.

ونجد أيضا توقيع المأمون في رقعة مولى طلب كسوة:«لو أردت الكسوة للزمت الخدمة، ولكنك أثرت الرُقاد، فحظك الرؤيا»[4]، المأمون يرفض طلب المولى لأنه لم يقم بعمله على أكمل وجه.

---

(1) الثعالبي أبو منصور، الاقتباس من القرآن الكريم، ج12، تح: ابتسام مرهون الصفار ومجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، بغداد، ط1، 1992، ص149.

(2) الثعالبي، خاص الخاص، ص72.

(3) المرجع نفسه، ص71.

(4) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص379.

المبحث الثاني: التوقيعات بحث في الأنواع، الخصائص والمصادر

المطلب الأول: أنواع التوقيعات:

اختلفت التوقيعات وتنوعت أشكالها فمنها ما جاء على شكل آية قرآنية أو مثل، أو بيت من الشعر، أو حكمة، قد يكون التوقيع غير ذلك أكسبها ثراء أدبيًا، وقيمة عظمى "اعتمدت على الفطرة السليمة والموهبة الفذَّة والبديهة والارتجال والثقافة الواسعة والتجربة العميقة والخبرة الطويلة...وصفاء القلب، والشدة في التعبير بلا لين والترفق من غير ضعف"[1]، وقد جاءت هذه التوقيعات على صور مختلفة ومتنوعة، فمنها ما جاءت على النحو الآتي:

1- التوقيعات من القرآن الكريم:

فقد يكون التوقيع عبارة عن آية قرآنية حتى تكون مناسبة للقضية المطروحة أو الشكوى المرفوعة من قبل الرعية وهذا ما وقعه عثمان بن عفان رضي الله عنه في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم، وذكروا انه أمر بَوَجْئ أعناقهم:﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾[2] ،سورة الشعراء الآية216، فهذه الآية جاءت ردا كافيا للقوم الذين تظلموا من مروان بن الحكم.

ووقع أيضا "أبو جعفر المنصور" في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه:﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٩٦﴾[3] سورة المؤمنون، الآية96؛ فأبو جعفر يأمر عبد الله بن علي عمه أن يختار الأحسن فتوقيعه بهذه الآية جاءت لما ورد في كتاب عبد الله بن علي.

---

[1] منيرة فاعور، فن الطباق في أدب التوقيعات، مج 30، مجلة جامعة دمشق، العدد1 و 2، 2004م، ص125.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج4، ص198.

[3] المرجع نفسه، ج4، ص204.

ونجد توقيعه أيضا إلى قوم تظلموا من عاملهم:﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾[1]،سورة البقرة، الآية124.

ووقّع "المهدي" إلى صاحب أرمينية، وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه:﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[2]،سورة الأعراف الأية199 ؛ فالمهدي أحسن اختيار هذه الآية والتي من خلالها بيَّن لهم جوابه وكذا بيَّن له فيها كيفية تصرفه مع العصاة.

كما نجد توقيع "السفاح بن العباس" في كتاب قوم غرقت ضياعهم في ناحية الكوفة:﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[3] سورة هود، الآية44، توقيعه بهذه الآية جاءت مناسبة لشكواهم.

ووقّع "أبو جعفر المنصور" في كتاب صارورة سأله أن يحج:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ٩٧﴾[4]سورة آل عمران، الآية97 ، فهو يرد عليه بهذه الآية القرآنية يخبره من خلالها أنه إن استطاع الحج فليحج ووقّع المهدي في قصة رجل حبس في دم:﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٧٩﴾[5]سورة البقرة الآية179، ويبدو من توقيع "المهدي" جاء مناسبا للمحبوس وعليه وجب عليه القصاص نظرا للجرم الذي ارتكبه ووقَّع "المأمون" في قصة متظلم من أبي عيسى أخيه:﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾[6]سورة المؤمنون، الآية101.

---

(1) ابن عبد ربه ،المرجع السابق، ج4، ص204.

(2) المرجع نفسه، ج4، ص205.

(3) المرجع نفسه، ج4، ص204.

(4) المرجع نفسه، ج4، ص204.

(5) المرجع نفسه، ج4، ص205.

(6) المرجع نفسه، ج4، ص207.

كما نجد توقيع "عمر بن عبد العزيز" إلى رجل ولاه الصدقات، وكان ذميمًا، فعدل وأحسن قوله تعالى:﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًا ۖ﴾سورة هود، الآية31.[1]

وقَّع أيضا إلى عدي بن أرطأة في أمر عاتبه عليه:"أن آخر آية أنزلت:﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾[2]سورة البقرة، الآية281.

وإلى عامله على الكوفة، وكتب إليه انه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[3]سورة الأنعام، الآية90، انطلاقا من هذه الآية يأمره بان يقتدي بالذين هداهم الله، فهم خير من نقتدي بهم.

وقَّع "أبو مسلم الخراساني"في كتاب سليمان بن كثير الخزاعي:﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾[4] سورة الأنعام، الآية67؛ فهو يرد على سليمان بن كثير الخزاعي بهذه الآية كي يبيّن له أن لكل خبر قرار يستقر عنده وله نهاية ينتهي إليها ويتبيَّن الحق من الباطل.

ووقَّع جعفر بن يحي في قصة محبوس:﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾[5] سورة الرعد، الآية38، فهو يخبره أن لكل أمر قضاه الله كتاب وأجل قد كتبه عنده لا يتقدم ولا يتأخر وأنه سيطلق سراحه في الوقت المحدد.

كما نجد الفضل بن سهل يوقع في قصة قوم قطعوا الطريق:﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾[6]،سورة المائدة الآية33، الفضل بن سهل اختار هذه الآية لأنها تطابق ما جاء في قصة القوم القوم الذين قطعوا الطريق ويعثون في الأرض الفساد.

---

(1) ابن عبد ربه،المرجع السابق ، ج4، ص201.

(2) المرجع نفسه، ج4، ص201.

(3) المرجع نفسه، ج4،ص201.

(4) المرجع نفسه، ج4،ص210.

(5) المرجع نفسه،ج4،ص211.

(6) المرجع نفسه، ج4،ص212.

ووقَّع أيضا الحسن بن سهل ذو الرياستين في أسفل كتابه:﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1]،سورة يوسف الآية44.

كتب صاحب جيش عبد الملك بن مروان يخبره بكثرة من لقي من جيش الروم فوقّع إليه:﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [2]، سورة آل عمران، الآية160، ويبدو أن توقيع الخليفة عبد الملك بن مروان جاء مناسبا لمضمون كتاب صاحب الجيش على أن النصر من عند الله وليس بقلة جيشكم وكثرة عدوكم وأن الله يمددكم بمعونته فلا أحد يستطيع أن يغلبكم.

ومنه نستنتج أن الخلفاء والوزراء والولاة أحسنوا اختيار الآيات القرآنية وما يتناسب مع الشكاوي المرفوعة إليهم ووقَّعوا بها، ويعتبر التوقيع بآية قرآنية هو أفضل طريق لإقناع الأشخاص، وهكذا فإن التوقيعات تكون في مواضيع مختلفة تخص شؤون البلاد والعباد.

2- التوقيعات الشعرية:

وقد يكون التوقيع ببيت من الشعر، وذلك لما تضمنته الشكاوى أو النزاعات، هذا ما وقَّعه عبد الملك بن مروان في كتاب ابن الأشعث.[3] [من البحر الطول]

فَمَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لأَجْبرَ عَظْمَه حِفَاظًا وَيَنْوِي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي

ووقع أيضا في كتاب:[4][من البحر الرمل]

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا لاَحَ فِي الرَّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَعْ.

---

[1] ابن عبد ربه،المرجع السابق ، ج4، ص213.

[2] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج9، ص110.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص200.

[4] سويد بن أبي كاهل اليشكري، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، تح: شاكر عاشور، دار الطباعة الحديثة، العراق، ط1، 1972م، ص32.

ونجد توقيع "سليمان بن عبد الملك" في كتاب قتيبة بن مسلم إليه يهدده بالخلع، فوقع في كتابه:[1] [من البحر الكامل]

زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبْشِرَ بِطُولِ سَلاَمَةٍ يَا مَرْبَعُ.

وكذلك وقّع مروان بن محمد في جواب أبيات نصر بن سيَّار إذا كتب إليه:[2][من البحر الوافر]

أَرىَ خَلَلَ الرَمَادِ وَمِيْضَ جَمْرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

ووقّع هارون الرشيد إلى سليمان بن أبي جعفر في كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أَهْل دمشق: «استحييت لشيخ ولده المنصور أن يهرب عمن ولدته كندة وطيئ، فهلا قابلته بوجهك، وأبديت لهم صفحتك وكنت كمروان ابن عمك إذ خرج مُصلتا سيفه متمثلا ببيت من الجحاف بن حكيم»[3]: [من البحر الكامل].

مثتَقَلدِينَ صَفَائِحًا هِنْدِيَةً يَتْرُكْنَ مَنْ ضَرَبُوا كَمَنْ لضَمْ يُولَدِ

ووقَّع "المأمون" في كتاب عبد الله بن طاهر يشكوا إليه بعده عن حضرته ويسأله في الإلمام بها، فوقع في كتابه: «قربك يا أبا العباس حبيب وأنت من قلبي حيث كنت قريب وإنّما بعدت دارك نظرا بك ورغبة إليك في قول الشاعر»:[4] [من البحر الطويل].

رَأَيْتُ دُنُوَ الدَارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَا بَين القُلُوبِ بَعيدُ

ابن العميد استنشد ابنه أبا الفتح وهو في الكتاب قصائد فلم يشتغل بها فعتب عليه وطرده من بين يديه فبعد أيام كتب إلى أبيه يستعتبه ويتمثل:[5][من البحر الطويل]

فَحتَى مَتَى رُوح الرضَا لاَ يَنَالنِي ؟ وَحَتَى مَتى أَيَامُ سُخْطِكَ لا تَمْضِي؟

---

[1] جرير بن عطية الحفصي، ديوان جرير، تح: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2009م، ص261.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص203.

[3] المرجع نفسه، ص207.

[4] الثعالبي، خاص الخاص، ص70.

[5] المرجع نفسه، ص73.

كما نجد توقيع "طاهر بن الحسين" إلى العباس بن موسى الهادي واستبطأه في خراج ناحيته:[1] [من البحر الطويل]

وَلَيْسَ أَخُو الحَاجَاتِ مَنْ بَاتَ نَائِمًا وَلَكِنْ أَخُوهَا من يَبِتْ عَلَى وَجْلِ

كما نجد توقيع زياد بن أبيه في قصة متنصح: [2]

مَهْلاً فَقَدْ أَبلَغْتَ إِسْمَاعِي

مما سبق نستنتج أن الخلفاء والوزراء والولاة استطاعوا وأن يوقعوا بأبيات من الشعر تتناسب مع الكتاب الذي ورد إليهم من طرف الرعية، وقد أحسنوا اختيار الأبيات وما يتطابق مع القضايا المطروحة إليهم.

3- التوقيعات بالأمثال:

وجاء التوقيع أيضا على شكل مثل سائر، من ذلك ما وقّع به "يزيد بن الوليد" إلى مروان: «أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فأعتمد على أيّهما شئت» [3]؛ فمن هنا يّبيّن لنا أن مروان متردد في مبايعة يزيد بن الوليد، وهو مثل يضرب بمن يتردد في أمر، فهو يخيره.

ووقّع أيضا "هارون الرشيد" إلى صاحب السند، إذ ظهرت العصبية:«كل من دعا إلى الجاهلية، تعجل إلى المنية»[4]، هارون الرشيد وقّع بهذا المثل حين ظهرت العصبية وأراد من خلال هذا المثل بين أن العصبية فعل جاهلي وكل من يدعوا إليه تعجل بالمنية.

ووقّع المأمون إلى الرستمي في قصة من تظلم منه:«ليس من المروءة أن تكون أوانيك من ذهب وفضة، وغريمك خاوٍ، وجارك طاوٍ» [5].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص214.

[2] الأسلت بن أبي قيس صيفي الأوسي، ديوان الأسلت بن أبي قيس صيفي الأوسي، تح: حسين محمد باجودة، مكتبة دار التراث، القاهرة، د ط، 1973م، ص78.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص202.

[4] علي شلق، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، ص527.

[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص207.

كما وقّع "أبو مسلم الخراساني" على عامله ببلخ: «لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد» [1]؛ من خلال هذا المثل يدعوا عامله إلى تأدية أعماله في وقتها ولا يؤجلها إلى الغد.ووقّع المعتز تحت دعاء وبإطالة البقاء:«كفى بالانتهاء قصرا».[2]

ووقع أيضا علي بن أبي طالب إلى طلحة بن عبيد الله:«في بيته يؤتى الحَكَمَ»[3]، هذا المثل يضرب للرجل يُلطم فينتقم وهو في داره، وهذا المثل وقع به علي بن أبي طالب إلى طلحة.

ونجد توقيع الصاحب بن عباد رجل عصى له أمرا:«العصا لمن عصى»[4]، وهذا المثل يضرب لمن يعصي أوامر سادته ومن هم أعلى منه مرتبة.

هناك مِنَ الموقِّعين من جعل من توقيعاته أمثالا لإيصال رده على الرقاع أو القصص المرفوعة إليهم لفك النزاعات وحل القضايا الموجهة إليهم.

4- التوقيعات الحكمية:

اتجهت التوقيعات منحى أخر يتمثل في التوقيع بالحكمة، من ذلك ما وقّع "ابو العباس السفاح "في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم: «من صبر في الشّدة، شارك في النعمة»[5]، وهذه الحكمة تعني أن الشخص الذي يصبر وقت الفاقة والعسر فإنّ الله سيرزقه لشدة تحمله وصبره بإذن الله.

ونجد أيضا ما وقّع به "المأمون" في كتابه:« القدرة تذهب الحفيظة والندم جزء من التوبة، وبينهما عفو الله».[6]

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص210.

[2] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، ص76.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص198.

[4] الثعالبي، خاص الخاص، ص73.

[5] علي شلق، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، ص526.

[6] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص204.

ووقّع"جعفر بن يحي البرمكي" على كتاب عمرو بن مسعدة إلى حمزة الشاري:«إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيًّا» [1].

ومما سبق نلحظ أن هناك من الموقعين من استند إلى الحكمة في توقيعاتهم، وهذا يدل على براعتهم في انتقاء الحكم لجعلها وسيلة للرد على الرقاع الموجهة إليهم والنظر فيها.

5- قد يكون التوقيع غير ذلك:

ومن التوقيعات أيضا ما جاء على شكل توقيع من إنشاء صاحبه، من ذلك ما وقّع به السّفاح حين كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به، ولم يُعطوا أثمانها، فوقَّع: «هذا بناء أسس على غير تقوى» [2].

كما نجد توقيع "الحجاج بن يوسف "في كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد وذهاب الغلات وما حل بالناس القحط:«إذا أزف خراجك فانظر لرعيتك في مصالحها، فبيت المال أشد اضطلاعا بذلك من الأرملة واليتيم وذي العيلة» [3].

ونجد أيضا ما وقعه يحي بن خالد إلى قوم من حشمه يستزيدونه في أرزاقهم فأمر أنس بن أبي شيخ بالتوقيع في قصتهم فوقع بين يديه: «قليل دائم خير من كثير منقطع» [4].

ومن التوقيعات أيضا نجد توقيع السفاح على كتاب جاءه من أبي مسلم يستأذنه في الحج وفي زيارته فوقع إليه،«لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام، أو خليفته، وإذنك لك» [5].

ووقّع "المهدي" إلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار، «خذهم بالعدل في المكيال والميزان». [6]

---

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج4، ص148.

[2] ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج4، ص203.

[3] المرجع نفسه، ج4، ص210.

[4] الثعالبي، خاص الخاص، ص71.

[5] ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج4، ص203-204.

[6] المرجع نفسه، ج4، ص205.

ونجد أيضا توقيع "زياد بن أبيه" في قصة رجل شكا إليه عقوق ابنه:«ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد» [1].

ووقّع " أبو جعفر المنصور" في كتاب جاءه فيه خطأ: «استبدل بكتابك وإلا استبدل بك» [2].

لقد كان الكُتاب والوزراء والخلفاء بارعين بالكتابة متمكنين منها، هذه البراعة ظهرت في توقيعاتهم التي كانت مزيجا بين الإيجاز والدقة في التعبير وإصابة المعنى، فتوقيعاتهم كانت تتناسب والموضوعات المرفوعة إليهم.

[1] ابن عبد ربه ، العقد الفريد، المرجع السابق، ج4، ص209.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص205.

المطلب الثاني: مصادر التوقيعات:

حملت مجموعة من المصادر العربية القديمة في طياتها طائفة من التوقيعات العباسية، فهناك من خصصوا لها أبوابًا منفردة كالعقد الفريد لابن عبد ربه، وخاص الخاص للثعالبي، وهناك من المصادر من أوردتها متفرقة؛ إما في الحديث عن شخصية من الشخصيات؛ أو ذكر فن من فنون النثر العربي القديم ومن أهم هذه المصادر التي أدرجت التوقيعات في محتواها نجد:

1- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي:

يعتبر العقد الفريد من أهم الكتب التي جمعت «"توقيعات الخلفاء"، وتوقيعات بني العباس"، و"توقيعات الأمراء والكبراء"، "وتوقيعات العجم"» [1].

وأورد مجموعة من توقيعات خلفاء بني العباس وهم:"السفاح" "أبو جعفر المنصور"، "المهدي"، و"موسى الهادي"، "هارون الرشيد"، "المأمون"، كما أشار على توقيعات الأمراء والكبراء مثل:"الحجاج بن يوسف"، " أبو مسلم الخراساني"، "جعفر بن يحي البرمكي"، "الفضل بن سهل"، " الحسن بن سهل ذو الرياستين"، " طاهر بن الحسن"[2].

جمع ابن عبد ربه في كتابه مختلف التوقيعات العربية، وهو أول من أشار إلى توقيعات الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين إضافة إلى توقيعات الأمراء والوزراء وقادة الجيش والولاة.

[1] ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج4، ص198.

[2] المرجع نفسه، ج4،ص203-213.

2- كُتاب بغداد لابن طيفور:

يعتبر كتاب بغداد لابن طيفور من المصادر القديمة التي تناول فيها مجموعة من التوقيعات العباسية، وذكر في كتابه ثلاث توقيعات للخليفة "المأمون"[1]، أما النصيب الأكبر في حديثه عن التوقيعات فكان لتوقيع "طاهر بن الحسين الخزاعي"[2]، فهو اكتفى بذكر توقيعات المأمون وقائد جيشه، ولم يذكر توقيعات الخلفاء العباسيين.

لم يكن غرضه جمع التوقيعات والبحث فيها، وإنما جاءت في خِضم حديثه عن عصر المأمون وفترة خلافته.

3- خاص الخاص لثعالبي:

عني الثعالبي في كتابه خاص الخاص بالتوقيعات العربية وخصص فيه فصلا كاملا للحديث عن التوقيعات العباسية، وأدرج في ثنايا هذا الفصل توقيعات الخلفاء "أبو العباس السفاح"، "أبو جعفر المنصور" "المهدي"، "الرشيد"، "المأمون"، "عبد الله بن المعتز"[3].

كما ذكر مجموعة من توقيعات الوزراء والسادة الكبراء«كيحيى بن خالد"، "والفيض بن أبي صالح"، " الفضل بن سهل"، "الحسن بن سهل"، "محمد بن يزداد"، "عبد الله بن سليمان بن وهب"، "عبد الله بن محمد بن يزداد" "علي بن عيسى"، "ابن العميد"، " عبد الله بن محمد بن يزداد"، "علي بن عيسى"، "ابن العميد"، "الصاحب بن عباد"»[4]، وهناك توقيعات ذكرها الثعالبي لم يّرد في مصادر أخرى.

4- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي:

اهتم أبو حيان التوحيدي بالتوقيعات حيث أدرجها في كتابه البصائر والذخائر في جميع أجزائه، فهو لم يخصص لها فصلا منفردا، وإنّما وُجدت متناثرة في ثنايا أجزائه.

---

[1] ابن طيفور، كتاب بغداد، ص39.

[2] المرجع نفسه، ص77.

[3] المرجع نفسه، ص71.

[4] الثعالبي، خاص الخاص ، ص 68- 73.

ذكر التوحيدي في كتابه مجموعة من توقيعات الخلفاء العباسيين: « "كالمنصور"،" الرشيد"، "المأمون" "المعتصم بالله"، "المتوكل على الله"، "المعتز بالله"» [1]،وفئة أخرى للقادة العباسيين مثل:«"طاهر بن الحسين الخزاعي"، "محمد بن عبد الله الخزاعي"».[2]

وأضاف توقيعات للوزراء العباسيين:«" كيحي البرمكي"، " وجعفر البرمكي"، "ذو الرياستين"، و" الفيض بن أبي صالح"، " الحسن بن سهل"، "أبي صالح بن يزداد"، " أبي الحسن بن علي بن عيسى».[3]

في هذا الكتاب ذكر بعض التوقيعات وأغفل أخرى إلاّ أنه يعد من أهم المصادر التي عُينت بالتوقيعات والموقعين.

5- التذكرة الحمدونية لابن حمدون:

تناول ابن حمدون في كتابه التذكرة الحمدونية طائفة من التوقيعات العباسية، وذكر توقيعات لم ترد في مصادر سابقة، فقد ضمّن في كتابه توقيعات الخلفاء " كالمنصور"، " الرشيد"، " المأمون"، " المعتصم"، " المعتز".[4]

وكذلك مجموعة من توقيعات الوزراء مثل:"أبو مسلم الخراساني"، و"جعفر البرمكي"، "الفضل بن سهل" "الحسن بن سهل"، "ابن الزيات"، " أبو محمد الحسن"، " الصاحب بن عباد".[5]

---

[1] أبي حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج2، ص17.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص26، ج2، ص16.

[3] المرجع نفسه، ج5، ص125، ج2، ص127-128، ج6، ص211-231، ص175، ص158، ج5، ص53.

[4] ابن حمدون بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، ج1، تح: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص423، ج7، ص229، ج1، ص423-424، 449، 466، 347.

[5] المرجع نفسه،ج2، ص33، 330، 110-111، ج1،ص451، ج3،ص155-156، 177، 225، ج5، ص71، 57،ج9،ص 395.

وأورد أيضا توقيعاته "للقاضي محمد بن عبد الرحمان بن قريعة"، "والأديب داود بن الجراح"، كما ذكر توقيعا "لزبيدة بنت جعفر"[1]، اعتمد ابن حمدون في جمع توقيعاته على مصادر أخرى والتي جعلها مرجعا مهما في كتابه.

6 – مصادر أخرى.

وهناك كتب أخرى تعرضت للتوقيعات العباسية، فقد وجدت طائفة من التوقيعات مبثوثة في طياتها منها:

الوزراء والكتاب للجهشياري، فقد تناول مجموعة من توقيعات الخلفاء "كالمهدي"[2]،"الرشيد"[3]، المأمون"[4] أما الوزراء فهم: "الفيض بن أبي صالح"[5]، " جعفر البرمكي"[6]، " الفصل بن سهل"[7].

أما كتاب تحفة الوزراء الثعالبي نقل لنا مجموعة من التوقيعات فأورد توقيع واحد "للمأمون"، والتوقيعات الأخرى للوزراء مثل: "يحي البرمكي"، "جعفر البرمكي"، "الفصل بن سهل"، و"الصاحب بن عباد"[8].

كما نجد العمري* أدرج في كتابه "مسالك الأبصار" توقيعات لوزراء عباسيين "كيحي البرمكي"[9] و"وجعفر البرمكي".[10]

---

[1] ابن حمدون، المرجع السابق، ج2، ص 110-111.

[2] الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص159.

[3] المرجع نفسه، ص234.

[4] المرجع نفسه، ص206.

[5] المرجع نفسه، ص166.

[6] المرجع نفسه، ص205.

[7] المرجع نفسه، ص307-308.

[8] الثعالبي أبو منصور: تحفة الوزراء، تح: سعد أبودية، دار البشير، الأردن، ط1، 1994م، ص99-100.

* العمري: هو من نسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مؤرخ وأديب دمشقي، تقلد رئاسة ديوان الإنشاء تبوأ العمري منزلة عظيمة ونال حضوة لدى الملك الناصر،وافته المنية سنة 749هـ.

[9] العمري بن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج11، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، د ط، د ت، ص40.

[10] المرجع نفسه، ص53-54.

ومن المصادر الأخرى التي عينت بالتوقيعات العباسية نجد كتاب "طبقات الشعراء لابن المعتز"[1]، وكتاب "الإقتباس من القرآن الكريم لثعالبي"[2]، رسائل الصاحب بن عباد"[3]، "الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي النهرواني"[4]، "وإعتاب الكتاب لابن الآبار"[5]، " الفرج بعد الشدة للتنوخي"[6].

تعتبر هذه الكتب التي تطرقنا إليها من أهم المصادر القديمة التي تناولت التوقيعات بين دفتيها وتعرضت لتوقيعات الخلفاء العباسيين ووزرائهم وولاتهم وقاداتهم.

ونجد من الباحثين المعاصرين منْ اهتم بدراسة التوقيعات العباسية وجمعها حيث نجد:

1- جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت:

يعتبر كتاب جمهرة رسائل العرب من أهم المصادر الحديثة التي اهتمت بجمع التوقيعات، ويحتوي هذا الكتاب على أربعة أجزاء وخصص الجزء الرابع لتوقيعات العصر العباسي، وأورد أحمد زكي صفوت في جمهرته توقيعات للخلفاء العباسيين وهم:"السفاح"، "أبو جعفر المنصور"، "المهدي"، " الهادي"، "هارون الرشيد"، "المأمون"، "الواثق"، " المتوكل" و"ابن المعتز".[7]

---

(1) ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط3، د ت، ص41-42، 153، 207، 231، 309، 396.

(2) الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد، الاقتباس من القرآن الكريم، ج2، تح: ابتسام مرهون الصفار ومجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 1992م، ص147-149.

(3) الصاحب بن عباد، رسائل الصاحب بن عباد، صححه، عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف، دار الفكر العربي، د ب، ط1، د ت، ص197، 221-223.

(4) أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني الجريري، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: إحسان عباس، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ص574، ج2، ص230، 235، ج4، ص85-86، ص105-106.

(5) ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، إعتاب الكتاب، تح: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1961م، ص38، 116، 125-127، 147-148، 157.

(6) التنوخي القاضي بن علي المحسن بن علي، الفرج بعد الشدة، ج1، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، د ط، 1978م، ص394، ج2، ص120-121، ج3، ص259، 261، ج4، ص63-64.

(7) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، ج4، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص367-368، 372، 374، 377- 381، 124، 400.

كما أشار إلى توقيعات الأمراء والقادة العباسيين مثل:"طاهر الخزاعي"، " عبد الله الخزاعي"، "محمد بن عبد الله".[1]

ومن الوزراء الذين أورد توقيعاتهم "أبو مسلم الخراساني"، "أبو عبيد الله"، "الفيض بن أبي صالح"، "يحي البرمكي"، "جعفر البرمكي"، "الفضل بن سهل"، "الحسن بن سهل"، "أحمد بن يوسف"، " محمد بن يزداد"[2] "جعفر الإسكافي"[3]، "عبيد الله بن سليمان"، " أبو الحسن علي بن عيسى".[4]

جمع أحمد زكي صفوت توقيعات لا بأس بها للخلفاء والأمراء والقادة والوزراء، حيث بذل جهدا كبيرًا في جمعها، واستند إلى مراجع سبقته.

2- بلاغة الكتاب لمحمد نبيه حجاب:

عرض محمد نبيه حجاب توقيعات الخلفاء العباسيين "كالسفاح"، و"المنصور" و" الرشيد"، والوزراء " كجعفر البرمكي"، "والصاحب بن عباد"[5]، وفي أخر حديثه عن التوقيعات تساءل: " فما أصل هذه التوقيعات...؟ أهي أهي عربية صميمة أم منقولة عن الفارسية؟ "[6]، وقد أشار إلى اختلاف الباحثين حول عروبية التوقيعات، مستندا مستندا في ذلك إلى "توقيعات الخلفاء الراشدين وتوقيعات بني أمية"[7]، وأنها دليل على عروبيتها الأصيلة "وأنها نبعت من الصدور العربية، لأنها من ضرورات الملك"[8]، فهو يرى أن التوقيعات عربية وأنها ذات أهمية كبيرة لدى الخلفاء والأمراء في الحكم.

---

[1] أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص390- 393، 399.

[2] المرجع نفسه، ص382-397.

[3] المرجع نفسه، ص 269.

[4] المرجع نفسه، ص399- 401.

[5] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط2، 1986م، ص96-97.

[6] المرجع نفسه، ص97.

[7] المرجع نفسه، ص97.

[8] المرجع نفسه، ص97-98.

3 – روائع من الأدب العربي لهاشم صالح منّاع:

خصص هاشم صالح منّاع في كتابه روائع من الأدب العربي في آخره جزءا أسماه التوقيعات، حيث أدرج فيه نماذج من التوقيعات في العصر العباسي الأول، حيث أشار إلى توقيعات "السفاح"، "أبو مسلم الخراساني"، " أبو جعفر المنصور"، "المهدي"، "هارون الرشيد"، "المأمون"، "جعفر بن يحي"، "الفضل بن سهل"، "الحسن بن سهل"[1]، فهو تعرض لأهم الخلفاء والوزراء وتوقيعاتهم.

[1] هشام صالح منّاع، روائع من الأدب العربي العصر الجاهلي–الإسلامي–الأموي– العباسي، دار الوسام ودار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1991م، ص313 – 317.

المطلب الثالث: الخصائص الفنية للتوقيعات

تتمتع اللغة العربية بقدر كبير من الأجناس النثرية العديدة وأشكال. الكتابة الأدبية الرفيعة، فقد عنيت بدراسة فائقة من قبل الدارسين، وأن أبرزها يلقن في لغة العرب أنها لغة إيجاز، وهي كذلك أمتن اللغات تركيبا وأوضحها بيانا، وأن كلمة واحدة فيها أو جملة واحدة تتضمن ألوانا من المعاني، فإذا تتبعنا أثار هذه اللغة في بداية عهدها في العصر الجاهلي وجدنا العرب شديدي الحرص على الإيجاز في كلامهم، وفي العصور الإسلامية الأولى حتى نهاية العصر العباسي الأول تواصلت العناية بالإيجاز على نحو ما كان عليه في العصر الجاهلي.

كما نجد العرب قد وظفوا في كلامهم المحسنات البديعية التي أضفت على كتاباتهم جمالا ووضوحا في المعنى إضافة إلى التصوير وكذلك الاقتباس من القرآن الكريم.

1- الإيجاز:

يعتبر الإيجاز من أهم الفنون البلاغية التي عني بها العرب في كلامهم، حيث كانوا قديما يعتمدون على الإيجاز في الكتابة والإنشاء.

وقد عرفه ابن منظور بقوله: وجز: «وَجُزَ الكلام وجازه وجَزَأَ وأوْجَزَ: قل في البلاغة، وأوجَزَهُ اختصره، قال ابن سيده: بين الإيجاز والاختصار فرق منطقي، وكلام موجز وموجز. والوجز: الوحي، يقال أوجز فلان إيجازا في كل أمر. وأمر وجيز، وكلام وجيز أي خفيف مقتصر. وأوجزت الكلام: قصرته»[1]. والمتمعن في المعاجم يلاحظ أن المادة اللغوية للفظ الإيجاز – وجز – ينطبق عليه تعريف واحد وهو بمعنى قصّر، واختصر وقلّل.

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجز)، ج 15، صححه: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2008م، ص 213.

أما في المعنى الإصطلاحي، فقد عرفه الجاحظ بقوله: «الإيجاز: هو الجمع في المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة»،[1]فالإيجاز عنده هو الجمع في المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة أم كثيرة، وهو يرى أن الإيجاز هو «ما لم يجاوز مقدار الحاجة»[2].فالإيجاز هو عدم تجاوز مقدار الكلام.

ويعرفه أحمد الهاشمي في كتابه: «الإيجاز: هو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح»[3]، ويعني أن الإيجاز يؤدي المعنى بأقل لفظ مع الوفاء بالغرض، والتعبير عن المعاني بألفاظ قليلة وعبارات مختصرة بهدف توصيل المراد إيصاله.

ولقد قسم البلاغيون الإيجاز إلى قسمين: إيجاز القصر وإيجاز الحذف.

1ـ 1ـ إيجاز القصر:

عرفه ابن سنان الخفاجي بقوله:«هو أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة لا أن تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه إلى طرف من التأمل ودقيق الفكر فإن هذا عيب ونقص»[4]؛ فهو يرى أن الألفاظ القليلة توضح المعنى الكثير، أما الألفاظ الكثيرة تجعل المعنى مبهما وغير واضح.

1ـ 2 ـ إيجاز الحذف:

ويعرفه أحمد الهاشمي قائلا: «إيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم مع قرينة تعين المحذوف»[5] ؛ فهو حذف لفظة أو عبارة مع ترك قرينة تشير إلى المحذوف.

---

[1] أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج3، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965م، ص 86.

[2] المرجع نفسه، ج 06، ص 07.

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبطه: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، د ت، ص 197.

[4] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص 208.207.

[5] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 199 .

ويعرفه الروماني:«الحذف إسقاط كلمة في الاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام ». [1]

وهو حذف كلمة مع الإشارة إليها بدلالة تدل عليها.

2 ـ الصنعة:

لاقت المحسنات البديعية استحسان من قبل أدباء العرب وكتابها، فأقبلوا عليها في كلامهم، وتوظيف السجع والجناس والطباق وحتى المقابلة، كي تضفي على الكلام جمالا وسحرا دون الإفراط في توظيف هذه الصنعة كي لا تخل بالمعنى ومن هذه المحسنات نجد:

2 ـ 1ـ السجع:

يعرفه ابن منظور يقول: «سَجَعَ: سَجْعٌ يَسْجَعُ سَجْعًا: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا، والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع، وكلام مُسجعْ، وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا، وسَجَعَ تَسْجِيعًا: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن. وسمي سجعا لاشتباه أواخره وتناسب فواصله»[2]، من التعريف اللغوي يتبين لنا أن السجع هو توافق وتناسب آخر الفواصل من الكلمات في عبارات الجمل.

أما تعريفه الاصطلاحي، فقد عرّفه أحمد الهاشمي بأنه:«توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره»[3]، أي توافق الحرفين الأخيرين من الكلمة.

ويعرفه أيضا عبد المتعال الصعيدي: «السَجْعُ هو: تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد»[4] وقد اتفق البلاغيون على تعريف واحد للسجع وهو توافق الحرفين في آخر الكلمة.

---

[1] الروماني أبي الحسن علي بن عيسى وآخرون، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1986م، ص 76.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجع)، ج 06، ص 167

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 330.

[4] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج 4، المطبعة النموذجية، مصر، د ط، د ت، ص 92 .

2 ـ 2 ـ الجناس:

الجناس في معناه اللغوي كما يعرفه ابن منظور: «جنس الجنس: الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة.....،قال ابن سيده: والجمع أجناس وجنوس. ويقال أيضا: الجنس أعم من النوع ومنه المجانسة والتجنيس»[1]، أي أن الجناس يكون بلفظ واحد والمعنى مختلف.

أما في المعنى الاصطلاحي فنجد عبد الله بن المعتز أول من تفطن إلى هذا الفن حيث عرفه بقوله: «التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها»[2]، فقد اقتصر تعريف ابن المعتز للجناس على تآلف حروفها وتشابهها.

وفي تعريف آخر له:«الجناس هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى»[3]، أي أن الجناس هو توافق في حروف الكلمتين وفي النطق ولكن ليس لهما المعنى نفسه.

وفي تعريف آخر للجناس هو: «أن يكون بعض الألفاظ مشتق من بعض إن كان معناهما واحد، أو بمنزلة المشتق إن كان معناها مختلفا أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى»[4]، أي توافق بعض الألفاظ مع مشتقاتها، مع اختلاف في معناها.

وينقسم الجناس إلى قسمين: جناس تام وجناس ناقص.

2 ـ 2 ـ 1 ـ الجناس التام:

وهو:«ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة: نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها"[5]، وهو كذلك:«أن يتفق في أنواع الحروف وفي أعدادها وفي هيئتها وفي ترتيبها»[6]، من خلال هذين التعريفين يتضح لنا أن الجناس التام هو هو تشابه الحروف في شكلها وعددها وترتيبها مع اختلاف في المعنى.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (جنس)، ج2، ص 356.

(2) ابن المعتز أبو العباس عبد الله، البديع، تح: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 2012م، ص 36.

(3) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، د ب ، د ط ، 1999م، ص 265.

(4) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 193.

(5) علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 265.

(6) السبكي بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج 2 ، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 2003م، ص 283.

2ـ 2 ـ 2 ـ الجناس الناقص:

وهو: «ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة»[1]، أي هو اختلاف الكلمات في الأمور التي تتوفر في الجناس التام وهي أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها والفاصلة في الحركات.

2 ـ 3 ـ الطباق:

جاء في لسان العرب:«الطباق: الموافقة، يُقال: طابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحدٍ ألزقتهما»[2]، الطباق هنا الجمع بين الشيئين.

أما في المعنى الاصطلاحي للطباق فهو:«الجمع بين الشيء وضده في الكلام »[3]، ويقصد به تلك الثنائيات الضدية، وهي وقوع كلمتين مختلفتين في المعنى في الجملة الواحدة. وهو أيضا:«الجمع بين المتضادين أي معنيين مختلفين في الجملة »[4]، وهو الجمع بين كلمتين مختلفتين أو متضادتين في المعنى.

وهناك تعريف آخر للطباق هو: «أن تجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل فلا تجيء باسم مع فعل ولا بفعل مع اسم»[5]، أي أنه لابد أن يكون هناك توافق في جنس الكلمة وضدها، وهو كذلك :«الإتيان بلفظين متضادين وكأنّ المتكلم طابق الضد بالضد»[6]، يعني وجود كلمتين متضادتين في الجملة.

---

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 265.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (طبق)، ج8، ص113.

(3) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 303.

(4) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح في علوم البلاغة ص 04.

(5) النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،نهاية الإرب في فنون الأدب،ج7 ، تح: علي بوملحم، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، د ط، د ت، ص 83.

(6) صفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح: نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط2، 1992م، ص 72.

والطباق من منظور آخر «هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان.[1]

2 ـ 3 ـ 1 ـ طباق الإيجاب:

وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.

2 ـ 3 ـ 2 ـ طباق السلب:

وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا».

2 ـ 4 ـ المقابلة:

وقد عرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي قائلا: «ومقابلة وقبالة: ما كان مستقبل شيء. وشاة مقابلة قطعت من أذنها قطعة فتركت معلقة من قدم، والمدابرة من خلف، وإذا ضممت شيئا إلى شيء تقول قابلته به»؛[2] من خلال تعريف الخليل للمقابلة اتضح لنا أنها الإتيان بمتضادين أو متوافقين في المعنى والمقابلة بينهما في الجملة.

أما تعريف المقابلة اصطلاحا: فهي: «التوفيق بين المعاني من جهة و الموافقة والمضادة»[3]، وهذا يعني أن المقابلة لها ضربان مثل أن تكون المعاني متوافقة أو تكون متضادة.

وكذلك هي:«أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، وهو الإتيان بكلمتين أو أكثر ثم نجد ما يقابلها على الترتيب».[4]

كذلك المقابلة تكون:«بين الأضداد وغير الأضداد»[5]؛ أي بين كلمتين لهما المعنى نفسه أو تكون متضادتين متضادتين في المعنى.

---

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 281.

(2) خليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مادة (قبل)، مج 3، ص 356.

(3) علي بن خلف، مواد البيان، ص 119.

(4) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 304.

(5) محمد أحمد قاسم محي الدين ذيب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م، ص 72.

وتعرف أيضا: «أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل كلا على الترتيب».[1]

وتجمع تعاريف اللغويين على تعريف واحد للمقابلة على أنها الإتيان بمعنيين متوافقين أو أكثر ويؤتى بما يقابلها على الترتيب.

3 ـ التصوير:

تعتبر الصور البيانية من أهم الخصائص التي تميزت بها اللغة العربية، فالعرب كانوا يلجؤون إلى التشابيه والمجاز وحتى الكناية في كلامهم للتعبير عن أفكارهم، وإيصالها إلى ذهن السامع بطريقة غير مباشرة ومن هذه الصور نجد:

3 ـ 1 ـ التشبيه:

ورد في تاج العروس المفهوم اللغوي لتشبيه:«شابهه وأشبهه: ماثله وتشابها و اشتبها: أشبه كل منها الآخر حتى التبسا،وشبههه إياه وبه تشبيها مثّله، وأمور مشتبهة ومشبهة، لمعظمة: أي مشكلة ملتبسة يشبه بعضها بعضا» [2].

وفي تعريفه الاصطلاحي: أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى»[3]، أي أن الأدباء يوظفون عناصر الطبيعة في تشبيهاتهم لتوضيح فكرة ما.

وهو كذلك:«العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حسن أو عقل»[4]؛ أي أن الكلمة تحل محل كلمة أخرى سواء كان في الحقيقة أو المجاز.

---

(1) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 387.

(2) مرتضى الزبيدي محمد بن محمد الحسين، تاج العروس، مادة (شبه)، ج 36، اعتنى به عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م، ص 205.

(3) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص219.

(4) الروماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، ص 80.

وهناك تعريف آخر للتشبيه وهو:«بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف نحوها ملفوظة أو ملحوظة»[1]؛ أي أن الكلمة المصرح بها تتشابه مع الكلمة أو المعنى الذي أراده.

وقد عرفه الخطيب القزويني بقوله:«التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معناه»[2]؛ وهذا يعني أن المتشابهين لا يتطابقان في كل شيء، أو هو:«الدلالة على أن شيئا أو صورة تشترك مع شيء آخر أو صورة أخرى في معنى أو صفة»[3]؛ أي أن المشبه يشترك مع المشبه به في المعنى أو الصفة.

3 ـ 2 ـ المجاز:

جاء في المفهوم اللغوي للمجاز في تاج العروس: «تجوز في كلامه: تكلم بالمجاز، وهو ما يجاوز موضوعه الذي وضع له، والمجاز: الطريق إذا قطع من أحد جانبيه إلى الآخر، كالمجازة، والمجاز: خلاف الحقيقة، وهي ما لم تجاوز موضوعها الذي وضع لها» [4].

أما في المعنى الاصطلاحي:«هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له، بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع »[5]؛ وهو العبارة أو الكلمة المستعملة في موضوعها غير الحقيقي.

ويعرفه أيضا بأنه:«اللفظ المستعمل في غير ما وضع له بعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي»[6]، فالمجاز هو إيراد المعنى في غير موضعه الأصلي.

---

(1) علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 20.

(2) الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 164.

(3) مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 99.

(4) الزبيدي، تاج العروس، مادة (جوز)، ج 15، ص 41.

(5) صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية، ص 208.

(6) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 251.

3 ـ 3 ـ الكناية:

جاء في لسان العرب المفهوم اللغوي للكناية كالآتي:«الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى كناية، يعني إذا تكلم بغيره بما يستدل عليه»[1]؛ وهي تصريح بشيء، لكن نريد شيئا آخر أما من الناحية الاصطلاحية فهي:«لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي»[2]، وهي لفظ وظف بغير معناه الأصلي وجيء به لتقوية المعنى وإعطاء الكلام رونقا وجمالا.

وفي تعريف آخر للكناية فهي:«لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه»،[3] وهو الإتيان بلفظ يعبر عن المعنى الحقيقي مع ترك دلالة تدل عليه. وأورد تعريف آخر لها على أنها: «لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي»[4]وهي تعني الكلمة التي وظفت في غير موضعها الأصلي لتعبر عن المعنى الحقيقي.

4 ـ الاقتباس:

تعد ظاهرة استدعاء النص القرآني، أو معناه من الظواهر الفنية البارزة التي ظهرت في كثير من النصوص العربية قديما وحديثا.

جاء في لسان العرب:«الاقتباس: القَبَس: النَار. والقَبْس: الشعلة من النار. ويقال قبست منه نارا أقبس قبسا فأقبسني أي: أعطاني منه قبسا. وكذلك اقتبست منه نارا أو اقتبست منه علما»[5]؛ أي أن الاقتباس هو الأخذ من النص القرآني وتضمين به الكلام.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كني)، ج 12، ص168.

(2) مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 310.

(3) الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص337.

(4) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص287، 288.

(5) ابن منظور، لسان العرب مادة (قبس)، ج11، ص 08.

أما من الناحية الاصطلاحية للاقتباس:«أن يضمن المتكلم كلامه كلمة أو آية من آيات الكتاب العزيز خاصة»[1]، وفي تعريف آخر: «الاقتباس تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة منهما، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلا» [2].

من خلال هذين التعريفين يتضح لنا أن الاقتباس يعني تضمين الكلام من القرآن الكريم، ويجوز للمقتبس أن يغير من الاقتباس بأسلوبه الخاص دون الإخلال بالمعنى.

[1] صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية، ص 326.

[2] علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 270.

الفصل الثاني:

فن التوقيعات في العصر العباسي

موضوعاتها وخصائصها الفنية

المبحث الأول: كتاب التوقيعات، مكانتهم ومواصفاتهم

المطلب الأول: كتاب التوقيعات في العصر العباسي

لاقت التوقيعات في العصر العباسي اهتماما مِنْ قبل فئات خاصة من الناس من ساسة وكتاب وأمراء وولاة...الخ؛ وبالنظر لهذا الفن نجده متنوعا شمل فئات متعددة، وقد كان في بادئ الأمر فنًا اهتم به عليّة الناس واعتنى به الخلفاء والوزراء والأمراء والقادة والولاة، وقد اقتصر هذا الفن عليهم، وبعد اتساع رقعة الدولة زادت أعمالها ومتطلبات الرعية، فلم يستطع الخلفاء تتبع شؤون الدولة، والرد على شكاوي الرعية واستعطافاتهم.

اختار الخلفاء والوزراء كتابًا بارعين قادرين على خلافتهم وأعطوهم حرية الرد على هذه الرقاع؛ مع الأخذ بعين الاعتبار إقامة العدل، يتماشى التوقيع مع القضايا المطروحة من طرف الرعية، وقد اختلفت فئات الموقعين باختلاف طبقاتهم، ويمكن تصنيف كتاب التوقيعات العباسية إلى الفئات الآتية:

1-الخلفاء:

منذ قيام الدولة الإسلامية، كان الخلفاء يوقعون بأنفسهم على الرسائل التي ترد من طرف قادة الجيش والأمراء في الولايات الأخرى فقد ذكرت توقيعات لبعض الخلفاء الراشدين، وقد ظل هذا الفن موجودا حتى العصر العباسي إذ زاد اهتمام الخلفاء بهذا الفن وبرزت توقيعات كثيرة في الكتب الأدبية التي أدرجت فيها توقيعات الخلفاء العباسيين أمثال الخليفة « السفاح"، " أبو جعفر المنصور"، " المهدي"، و" موسى الهادي"، " "هارون الرشيد" ،"المأمون"، " أبو مسلم الخراساني"»[1]، " المعتصم بالله"[2]، « الواثق بالله"، " المتوكل على الله"، المعتز بالله" [3]»، " المقتدر بالله" [4].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص203.

[2] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج4، ص131.

[3] أحمد زكي صفوت، جهرة رسائل العرب، ج4، ص381.

[4] الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم، ج2، ص149.

ولا يوجد خليفة برع في التوقيعات براعة المأمون فقد كان يتميز بالذكاء الفكري، هذا الذكاء راجع إلى اهتمامه بالكتابة السلطانية وشغفه بها جعلته بارعا في الكتابة؛ وقد عُرف بعدله الذي ساهم في ازدهار وانتشار التوقيعات، وهذا ما جعله متمكنًا من الرد على القضايا المرفوعة إليه.

تعاطى الخلفاء هذا النوع من الكتابة في خلافته من تسيير شؤون الدولة، لأن التوقيعات كانت همزة وصل بين الرعية والخليفة وبفضلها كان الخليفة على دراية بأحوال رعيته وبطانته ويقوم بإصلاح و فك النزاعات والأمور المستعصية، والنظر فيها، فلا بد أن تكون خلافته قائمة على العدل حتى يكون الاستقرار في الدولة.

2- الوزراء:

عني الوزراء بالتوقيعات عناية كبيرة، وذلك بعد منح الوزراء مهمة النظر في شؤون الرعية والاستماع لمتطلباتهم واحتياجاتهم، فالوزير هو الذي ينوب عن الخليفة بعد غيابه، فهو حَلَ مَحَله، وقد برز في هذا العصر مجموعة من الوزراء الذين ذاع صيتهم واشتهروا بتوقيعاتهم البليغة أمثال: " يحي البرمكي"[1]، " الفضل بن سهل"[2]، " الحسن بن سهل"[3] " الصاحب بن عباد"[4]، ونجد جعفر بن يحي البرمكي من أبرع الموقعين بين الوزراء عُرف بكثرة توقيعاته،« وقد كان جعفر بن يحي يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة إلى صاحبها» [5]، فكان البرمكي وزير هارون الرشيد، وكان يوقع في القصص في حضرة الرشيد ثم يعيدها إلى صاحبها.

فمن خلال براعة توقيعاته؛ أصبح الموقعون البلغاء يحاولون النسج على منوالها ففشلوا حتى قيل إن توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها، «حتى قيل إنها كانت تباع كل قصة منها

---

[1] الثعالبي، خاص الخاص، ص71.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص212.

[3] المرجع نفسه، ج4، ص212.

[4] الثعالبي، خاص الخاص، ص73.

[5] ابن خلدون، مقدمة، ص184.

بدينار»[1]، وهذا دليل على بلاغة البرمكي وامتلاكه عارضة من البلاغة وهي التي جعلته قادرا على التوقيع بألفاظ جميلة وأساليب بلاغية تجعل من توقيعاته ذات أهمية كبيرة حتى أصبح البلغاء يتنافسون فيما بينهم في تحصيلها، يقول الجهشياري: «كان جعفر بليغا كاتبا، وكان إذا وقّع نسخت توقيعاته وتدورست بلاغته »[2]؛ أي أن توقيعات البرمكي كانت مرجعا مهما يستند إليه الموقعون.

جعل الثراء اللغوي للبرمكي وثقافته الواسعة والإلمام بضروب الكلام والبلاغة العربية قادرا على التوقيع دون الإعادة والتكرار، «كان جعفر بن يحي أنطق النّاس، قد جمع الهذُوّ والتمهل والجزالة والحلاوة، وإفهاما يغنيه عن الإعادة»[3]؛ببراعته اللغوية وبذكائه وفطنته أغنته عن الإعادة، فهو جعل لكل قصة توقيع تنفرد به.

3- الأمراء والولاة والقادة:

لم تقتصر التوقيعات على الخلفاء والوزراء فقط؛ وإنّما تعدت إلى الأمراء والولاة وحتى قادة الجيش، حيث حذوا حذوهم في السياسة والقيادة، فكانت توكل إليهم مهمة تسيير شؤون الدولة في الولايات الأخرى وتسيير الجيش، فالخليفة لا يستطيع أن يكون ملمًا بشؤون الدولة كلها؛ لذلك وضع أمراء وولاة وقادة لتولي الحكم في الولايات البعيدة عن مركز الخلافة، ومن أشهر الأمراء والولاة والقادة نجد " الحجاج بن يوسف الثقفي"[4]، " طاهر بن الحسين"[5]، " زياد بن أبيه"[6]، " عبد الله بن علي العباس"[7]،...وغيرهم، وكان الفضل للأمراء والولاة والقادة في إرساء دعائم الدولة وتوجيه الرعية وكذلك في حفظ أمن و استقرار الولايات.

---

[1] ابن خلدون، المرجع السابق، ص184.

[2] الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص204.

[3] المرجع نفسه، ص204.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص210.

[5] المرجع نفسه، ج4، ص213.

[6] المرجع نفسه، ج4، ص209.

[7] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج2، ص50.

4- الأدباء واللغويون.

لم تقتصر التوقيعات على الفئات السابقة فقط وإنّما تعدتها إلى الأدباء واللغويين، فهم يعتبرون من الطبقات المثقفة آنذاك، قَلَتْ التوقيعات عند هذه الطبقة وذلك لانشغال الأدباء واللغويين بتأليف الكتب والمصنفات ومن هؤلاء نجد " إبراهيم بن العباس الصولي"[1]، الذي كان كاتبا بارعا، أعجب المتوكل به وقلّده منصب رئيس ديوان الرسائل وحظي بمكانة مميزة عنده، فقد كان « إبراهيم بن العباس حَظِيًا عند المتوكل، فقلّده ديوان رسائله ودواوين مختلفة وظل حتى وفاته يكتب عن المتوكل كل الكتب التي تصدر عنه»[2]، ونجد أيضا " أبي العيناء البصري"[3].

أشتُهِر الصولي بكتاباته البليغة وأسلوبه الراقي، وألفاظه الجزلة حيث برع بالتوقيع واشتهر بها« فله توقيعات بديعة تدور في الكتب الأدبية» [4]؛ أي أن إبراهيم ابن العباس الصولي لم يبرع في الشعر فقط وإنّما تجاوز الأمر إلى الفنون النثرية وذكرت له توقيعات في الكتب.

عرفت التوقيعات في العصر العباسي إقبالا كبيرًا في جميع طبقات الناس، وخاصة عليَّة القوم وأشرافهم، وأبدعوا فيها وقد تنوعت هذه التوقيعات من موقع إلى أخر، وجاءت مناسبة مع شخصية الموقع.

---

[1] محمد نبيه حجاب، بلاغته الكتاب في العصر العباسي، ص259.

[2] شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط2، د ت، ص577.

[3] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تهذيب: إبراهيم زيدان، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، د ط، 1902، ص78.

[4] شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص586.

المطلب الثاني: مكانة ومواصفات أصحاب التوقيعات في العصر العباسي .

حظي كتاب التوقيعات في العصر العباسي بمكانة رفيعة و منزلة جليلة، وذلك لتقربهم من بلاط السلاطين والخلفاء و الوزراء هذا من جهة، ومن جهة أخرى اكتساب الكتّاب لعارضة من البلاغة وحُسن التأتي للأمور ومعرفة مقاصد الأحكام وتوجيه القضايا، كانت سببًا في علو منزلتهم لدى السلطان، ويقول ابن خلدون في ذلك: « وأعلم أنّ صاحب هذه الخطة لابد أن يتخير أرفع طبقات الناس، وأهل المروءة و الحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنهم معرض للنظر في أصول العلم بما يعرض من مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم» [1].

فقد كان الكتاب ملازمين للخلفاء في مجالسهم ويكتبون في حضرتهم ويَرُدون على الرقاع والقصص التي ترد السلطان، إذْ عُد صاحب التوقيع«يد الوزير ونائبه» [2]، وهذه المكانة التي حظي بها الكتاب جعلتهم يتقلدون مناصب عدة في الدولة، ولم يحظ بها غيرهم من الكتاب، حتى أنهم أصبحوا وزراء وولاة وقادة للجيش، حيث إن الخلفاء رفعوا من قيمة هؤلاء وجعلوهم كُتابًا لهم وخزانة أسرارهم، ومع هذه الميزة التي تمتع بها الكتاب جعلتهم يتنافسون فيما بينهم حول من يبرع في التوقيع، ويكتسب البلاغة والإلمام بالأصول العربية والفقهية وعُلُوٍ مرتبة في البلاط.

إنَّ اكتسابهم هذه المنزلة والمكانة لم تأت من فراغ وإنّما توفرت فيهم شروط ومواصفات حتى يرقوا إلى هذه المكانة؛ فالسلطان هو الذي يختار كاتبه وينتقيه من بين الناس، والذي يجب أن يكون حسَن الخط، فصيح اللسان أمينًا، حَسَن الخُلق من علّية القوم وأشرافهم لأنّه سيجلس مع السلطان وعظماء القوم، حافظا لأسرار السلطان، حسن الكلام.

---

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص184.

[2] علي بن خلف الكتاب، مواد البيان، ص50.

حيث كان يقول يحي بن خالد لولده: « لابد لكم من كتّاب وعمال وأعوان، فاستعينوا بالأشراف وإيّاكم وسَفَلة الناس، فإن النعمة على الأشراف أبقى وهي بهم أحسن، والمعارف عندهم أشهر، والشكر منهم أكثر»[1]؛ فهو يوصي ولده أن يحسنوا اختيار كاتبهم بأن يكون من أشراف الناس لأنه يجلس في حضرة السلطان.

و« ينبغي أن يكون مستقلاً بكل ما يستقل به الوزراء، ماضيا في جميع علوم الدواوين على اختلافها، عارفا بأوضاعها...وقد يحتمل تقصير الكاتب في أشياء: فمنها أن يكون عفيفا أمينا و إن لم يكن ناقدا بصيرا، ومنها أن يكون عارفا بوجوه المال موفرا له، عاجزا فيما سوى ذلك من أقسام الصناعة... »[2].

نال الموقعون في العصر العباسي مكانة مرموقة واستحسانًا كبيرًا من طرف الوزراء والخلفاء أنفسهم وأولوهم أهمية فائقة جعلوهم كُتابًا لهم، فكل خليفة أو وزير له كاتبًا خاصًا به، فهو كاتم أسراره فلابد أن يكون من أشراف القوم وفصيح اللسان، بليغٍ مُلمٍ باللغة ومقاصد الكلام، وهذا ما زادت من منزلتهم وعززت من قيمتهم.

[1] الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص179.

[2] علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، ص50- 51.

المطلب الثالث: أثر التوقيعات في السياسة و الأدب

ساهمت التوقيعات الأدبية منذ بوادرها الأولى حتى العصر العباسي في إرساء دعائم الحكم آنذاك، و كان الخلفاء في بداية الأمر هم الذين يتولون توجيه ما يردهم من الرقاع و القصص من طرف الرعية ، و كانت تستعمل لتوجيه الأمور السياسية للدولة ، و هي وسيلة استعملها الخلفاء لإعطاء النصائح و الإجراءات المناسبة للولاة و القادة في ولايتهم ، وأي توقيع يصدره الخليفة إليهم كان يتضمن توجيها ذا علاقة بشؤون الدولة و سياستها ، إذ ساهمت بشكل كبير في إرساء القوانين والقواعد، وتنظيم المكاتبات الإدارية ، والاهتمام بشؤون الرعية وأمن البلد .

إن المتتبع للتوقيعات العباسية يجدها منصبة في أمور البلاط والحكم ، فهي مرتبطة في كثير من الأحيان بعلية القوم وأشرافهم ، واستعملها الخلفاء للتواصل مع الرعية ، فالتوقيعات كانت همزة وصل بين الخلفاء مع الرعية ، ووطدت العلاقات بينهم وبالتالي عم الأمن والاستقرار في الدولة ، كما تم القضاء على كل أشكال الفساد و التمرد والظلم وردع الظالمين ومعاقبتهم ، بالإضافة إلى إقامة العدل والمساواة بين الرعية ، من ذلك ما وقعه المأمون في قصة متظلم من حميد الطوسي :«يا أبا حامد لا تتكل على حسن رأيي فيك فانك و أحد رعيتي في الحق سواء»[1] .وكذلك توقيع المهدي في قصة متظلمين شكوا بعض عماله : « لو كان عيسى عاماكم قدناه إلى الحق كما يقاد الجمل المخشوش »[2]، وهذين التوقعين يحثان على إقامة العدل بين الرعية في الحقوق و المعاملات بغض النظر على مكانة الظالم ، هذه التوقيعات أثرت بشكل واضح في السياسة آنذاك.

أما من الناحية الأدبية فقد أثرت التوقيعات في الأدب كونها جنسا أدبيا جديدا نما وازدهر في العصر العباسي ، فالتوقيع يحمل رأيا صائبا أو حكمة بالغة أو فكرة جديدة أو توجيها سديدا ، تحمل في طياتها بلاغةً و إيجازا أسهمها في إثراء الأدب و الفكر و ذلك بعرضه في كلمات قليلة ومختزلة ، مما أتاح للأدب الظفر بطائفة من التعبيرات الأدبية الراقية ، إضافة إلى ما خلفه العرب قبل ذلك من حكم وأمثال موجزة بليغة .

---

[1] الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 69

[2] أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب ، ج 4 ، ص 372 .

أضفت على الأدب أسلوبا جديدا فزخرت المادة الأدبية التي احتوتها التوقيعات بأقل لفظ و أوجز عبارة هذا ما جعلها قبلة الأدباء و والكتاب ، فهي كانت تعبر عن الفكرة بألفاظ قليلة إلا أنها استطاعت أن توصل الفكرة ، و هذا الفن كان الأدب بحاجته لما له من سمات فنية جمعت بين الإيجاز و البلاغة و الصور البيانية و من هذه التوقيعات التي اتسمت بالإيجاز و البلاغة ، ما وقعه "جعفر بن يحي البرمكي "إلى بعض ندمائه : « لا تبعد عمن ضمك » [1]،و في توقيع أخر للفضل بن سهل في امرئ قاتل شهد عليه العدول فشفع فيه : «كتاب الله أحق أنْ يتبع » [2] ، بهمذان التوقيعان يبينان مدى براعة الكتاب و بلاغتهم الأدبية و الرد بأوجز لفظ مع توصيل الفكرة .

[1] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج 4 ، ص 212 .

[2] المرجع نفسه ، ص 212.

المبحث الثاني: الموضوعات والخصائص والأبعاد

المطلب الأول: موضوعات فن التوقيعات في العصر العباسي

شغلت التوقيعات حيزا كبيرا في العصر العباسي، وأنشئ لها ديوان خاص بها، كما عني بها من قبل السلاطين والوزراء والكتاب، فأصبحوا يتنافسون في إنشاء أفضل توقيع، وهذا كله جعل من التوقيعات مادة خصبة تكونت أغراضها وتنوّعت حسب الطلب؛ أي أنها تعالج مواضيع متعددة ومتنوعة شملت شتى الأغراض؛ والمواضيع في العصر العباسي؛ ومن خلال قرائتنا لنماذج من التوقيعات استخلصنا هذه الموضوعات:

أولا– الرد على الأعداء:

من بين الموضوعات التي تناولتها التوقيعات هي الرد على الأعداء، فقد كان الموقعون العباسيون يتوعدون الأعداء ويردون عليهم، من ذلك توقيعات في الرد على الروم، ومن أبرز الخلفاء الذين قاموا بالرد على الروم والأعداء، بتوقيعاتهم نجد "الخليفة هارون الرشيد" الذي تصدى للأعداء ودافع عن الإسلام، من ذلك رده على متملك الروم كتب إليه: «إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي وكل بطل في جندي، فوقع في كتابه:﴿ وَسَيَعۡلَمُۗ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ سورة الرعد، الآية42»[1]،حيث أن هارون الرشيد يتحدى ملك الروم الذي جهز جيشه للحرب، فهو يرى أنه لن ينال إلاَّ الهزيمة والنكران، فهو يثق بنصر الله تعالى.

ووقّع أيضا إلى صاحب النصرانية بالروم:«أنا بالأثر وعلى الله الظفر» [2]، حيث نجد أن هارون الرشيد متشبعًا بالإيمان، ومؤمنًا بنصر الله له جاهز لمواجهة خصمه بالعدة والجيش فهو لا يهاب شيئا.

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص207.

[2] الثعالبي، خاص الخاص، ص69.

"فهارون الرشيد" كان من أولئك الذين يتبعون ويطبقون القول بالفعل، فعندما كتب إليه نقفور ملك الروم يتهدده، فوقع في كتابه:«الجواب ما تراه لا ما تقرؤه»[1]، فهو لم يكتفِ بتوبيخه فحسب، بل هدده وتوعده بالحرب والهزيمة.

فقد كان القادة العباسيون أيضا يردون على الأعداء ويتصدون لهم بكل عزيمة وقوة وثقة، فنجد "نصر بن أحمد بن نوح بن أسد" في رسالة ملك الصين يطلب منه خراج سبع وعشرون سنة، وإقامة الدعوة له في أعماله فكتب إليه نصر يتهدده ويتوعده أن يوافيه في داره، فأمر أن يكتب على ظهورها الجواب:«اعلم يا هذا إنّي ما تغافلت عنك وعن مثلك مهابة لك، ولا ضعفا، ولا عجزا من قلة الرجال والعدّة، ولكن لم يأمرني السلطان الأعظم فلم يسعني في ديني أن أبسط يدي إلى ما لم يأمرني به، ولكن الآن أكتب إليه وأعرفه ما كان منك وأستأذنه في ذلك، وأنا أوافيك إلى باب دارك ولا أحوجك إلى تجهيز جيش إلى ما قبلي والسلام على من اتبع الهدى»[2]، يرد نصر بن أحمد على ملك الصين بلهجة شديدة تَنِمُ عن قوته ورَبَاطه جأشه، فهو قوي الهمة والعزيمة، فهو ينتظر موافقة الخليفة في تجهيز جيشه لمحاربته في عقر داره لأنه تطاول على المسلمين، وسخر منهم.

ثانيا: الرد على المتظلمين:

يعد الرد على المتظلمين من أهم الموضوعات التي تناولتها التوقيعات في العصر العباسي، من ذلك أن العرب قديما كانوا يهتمون بإقامة العدل بين الرعية والاِهتمام بشؤونها، والنظر في متطلباتها وكان هذا سببًا في الاهتمام بهذا الموضوع الذي كثر فيه المتظلمون الذين يقومون برفع شكاويهم إلى ولاتهم في الدولة، يستنجدون بهم لرفع عنهم الظلم من طرف والٍ أو عامل أو مُسْتَبد أو ظالم أو منتهك حقوقهم «ولقد كان الخلفاء أنفسهم

[1] الثعالبي، المرجع السابق، ص69.

[2] القاضي الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، تح: محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، د ط، 1959م، ص148-149.

يباشرون أحيانا النظر في المظالم، بَيْدَ أَنَّ كثرة المتظلمين وازدياد عدد الظلامات اقتضت ترتيب نفر من الكتاب تُوكَلُ إليهم مهمة كتابة التوقيعات» [1].

هناك توقيعات جاءت في شكل تظلمات، ما وقّع به المأمون إلى علي بن هشام في أمر تَظلم منه فيه: «من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه، فأيّ الرجلين أنت»[2]، "المأمون" هنا يميّز بين نوعين من الظلم، فالشريف يظلم من هو أعلى منه منزلة، في حين يظلمه من دونه منزلة ورتبة، فهو يسأله أي مرتبة هو أكان هو الظالم أو المظلوم؟.

ومن التوقيعات ما جاءت تدعوا إلى العدل ونبذ الفساد، وأن العدل أساس قيام الدولة؛ وأنّه لا مكان للمحسوبية من ذلك توقيع المأمون في متظلم من حميد: «يا أبا حامد لا تتكل على حسن رأيي فيك، فإنك وأوحد رعيتي عندي في الحق سواء»[3]، يرفض المأمون أية محسوبية أو رشوة عندما يتعلق الأمر بالظلم بغض النظر عن القرابة أو منزلة الظالم.

وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي:«قد احتملنا بدائك وشكاسة خلقك، فأما ظلمك للرعية فإنا لا نحتمله»[4]؛ فالمأمون يحتمل الأخلاق السيئة والتصرفات غير اللائقة، أما إذا تعلق الأمر بالظلم فهو يقف نِدًا للمتظلمين، فهو لا يحتمل الظلم لأن مبدأه في الحكم إقامة العدل بين الرعية ومحاربة الظلم والظالمين لأنها من تمام قيام دولة قوية.

---

[1] أدب التوقيعات في العصر العباسي، أميرة عبد المولى حمد الحراحشة، إشراف د: محمد محمود الدروبي، كلية الآداب والعلوم ، قسم اللغة العربية، جامعة آل البيت، نواقشت 2004م، ص70.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص207.

[3] الثعالبي، خاص الخاص، ص69.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص208.

وجاء في توقيع " الحسن بن سهل" في قصة قوم تظلموا من واليهم: «الحق أولى بنا والعدل بغيتنا وإنْ صح ما أدعيتم عليه صرفناه وعاقبناه» [1]؛ أي أنّ " الحسن بن سهل" جعل من الحق أساس حكمه والعدل غايته وهدفه وأنه يتوعد الوالي الظالم إن ثبت عليه الظلم.

ووقع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبيب:«طلبت الحق في دار الباطل» [2]، يرد "الحسن بن سهل" من المتظلم من أصحاب نصر بن شبيب أنه طلب الحق في غير داره، وأنه لا يستطيع أن يرفع عنه الظلم.

ومن الموقعين من يجعل نفسه ندا لهؤلاء الظالمين، من ذلك توقيعّ جعفر بن يحي" في قصة رجل تظلم من بعض عماله: «أنَّى لمثله حتى ينصفك» [3]؛ جعفر بن يحي البرمكي يقف في وجه الظالم حتى يعيد الحق إلى أصحابه ويحقق العدل، ويكف الظالم عن ظلمه.

وهناك من الموقعين من يدعون إلى العدل ونبذ الظلم والجور، ومن ذلك توقيع "المأمون" في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة:«يا عمرو أعمر نعمتك بالعدل، فإن الجور يهدمها» [4]؛ فهو يخبره أن يجعل حكمه مبنيا على العدل لأنه بالعدل ترقى المجتمعات؛ أما الجور يساعد على انتشار الفساد وتمرد الرعية على الخليفة، وبالتالي فهو يحذره من الظلم.

وفي قصة متظلم من أبي عياد:«يا ثابت ليس بين الحق والباطل قرابة» [5]؛ فالحكام قديما كانت سمتهم إرساء الحق ومحاربة الباطل وضحده، وان الحق والباطل شيئان لا يلتقيان ولا علاقة بينهما فهما شيئان متناقضان.

---

[1] ابن عبد ربه، المرجع السابق،ج4،ص212.

[2] المرجع نفسه،ج4، ص213.

[3] المرجع نفسه ج4، ص211.

[4] أحمد زكي صفوت،جمهرة رسائل العرب،ج4،ص378.

[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج4، ص207.

ثالثا: الرد على السجناء:

ومن التوقيعات أيضا ما كانت ردًا على الرسائل التي كان يكتبها أهل السجون إلى ولي الأمر في الدولة يطلبون منهم إطلاق سراحهم، ويشتكون ضيق حالهم في السجن وظلمته وغياهبه واشتياقهم للحرية، من ذلك توقيع جعفر بن يحي في قصته محبوس: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [1] ،سورة الرعد الآية 38، يرد جعفر بن يحي البرمكي على السجين أن سيطلق سراحه في وقته ويجب عليه الصبر، فلكل شيء له وقت ولا يستعجل.

وفي توقيع أخر لهارون الرشيد يبيّن للسجين أن اللجوء إلى الله هو المنجاة في الدنيا والآخرة من ذلك ما وقعّه في قصة محبوس:«من لجأ إلى الله نجا » [2]، وفي توقيع آخر له حين كتب إليه " يحي بن خالد" من الحبس حين أحس بالموت: «قد تقدَّم الخصم إلى موقف الفصل، وأنت بالأثر والله الحكم العدل، وستقدم فتعلم، فوقع فيه الرشيد: الحكم الذي رضيت في الآخرة لك هو الذي أعدى الخصم في الدنيا عليك، وهو من لا يردُّ حكمه، ولا يُصرف قضاؤه» [3]؛ هنا أحس "يحي بن خالد" بدنو الموت، فكتب كتابه وأرسله إلى الرشيد أملا منه أن يُطلق سراحه.

ونجد أيضًا توقيع "الحجاج بن يوسف" في قصة محبوس ذكروا أنه تاب:«ما على المحسنين من سبيل»[4]؛ في هذا التوقيع يبين أن التوبة جزء من الندم، وهي سبيل إلى إصلاح النفس واجتنابها للمعاصي.

ومن توقيعاته أيضا في قصة محبوس: «الجناية حبسته والتوبة تطلقه» [5]؛ حيث ربط "الحسن بن سهل" وزير المأمون السجن والعدل والإنصاف ومعاقبة الجاني بالسجن؛ لأنه تعدى على حقوق الآخرين فهو يسجن بحق،

---

[1] ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج4، ص211.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص206.

[3] المرجع نفسه، ج4، ص207.

[4] المرجع نفسه، ج4، ص211.

[5] المرجع نفسه، ج4، ص212.

ويخرج بحق، فقد وقّع في قصة امرأة حبس زوجها: «الحق يحبسه والإنصاف يطلقه»[1]؛ فهو لم يحبس لظلم وإنما حبس لارتكابه الخطأ ويجب تطبيق القانون على المخالفين كي يعم العدل في أوساط المجتمع وكذا كي لا يتعدى أي شخص على حقوق الآخرين.

ونجد توقيع "طاهر بن الحسين" في قصة محبوس:« يُطلق ويُعتق»[2] ؛ فقد أمر "طاهر بن الحسين" بإطلاق سراح هذا السجين من غير قيود أو أيَّة شروط.

لقد ساهم الخلفاء والقادة العباسيون في إرساء دعائم الدولة العباسية، من خلال تطبيقهم لحدود الله وشرعه وإحلال العدل بين الرعية ومعاقبة الظالمين والمخالفين لقوانين الدولة و سجنهم من شأنه زرع الطمأنينة في نفوس الرعية وكسبهم، وحماية حقوقهم وحرياتهم، من أجل دولة أمنة مستقرة.

رابعا: الرد على الشكاوي:

هناك توقيعات جاءت كرد على بعض شكاوي الرعية رُفعت إلى الخليفة أو الوالي أو السلطان أو الوزير أو لمن يهمه الأمر في قضية ما من أجل النظر فيها وإعطاء حلول لهذه الشكاوي، فمن التوقيعات نجد " عباس السفاح" حين كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يعطوا أثمانها فوقع: «هدا بناء أسس على غير تقوى»[3] ؛ فالسفاح يرد على جماعة الأنبار أن البناء الذي يبنى بالسرقة ونهب أموال الناس فهو باطل وأخذ حقوقهم؛ والبناء الذي يُشَيّد على أموال الغير فهو بناء ليس له أساس.

---

[1] ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج4، ص212.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص214.

[3] المرجع نفسه، ج4،ص203.

كذلك وقّع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم: «من صبر في الشدة شارك في النعمة ثم أمر بأرزاقهم»[1] ؛ السفاح لما كتب إليه رعيته يشكون توقف دفع أجورهم أمرهم بالصبر في الشدة والمشاركة في النعمة، ثم أعطاهم أجورهم.ومن توقيعاته أيضا قوم شكوا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة:﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ [2]،سورة هود آية44.

وأخذت بعض الشكاوي جانبا أخر وهي الشكاية من الوالي عليهم، من ذلك ما وقّع به أبو جعفر إلى أهل الكوفة شكوا عاملهم: «كما تكونون يؤمر عليكم» [3] ؛ يرد أبو جعفر المنصور على أهل الكوفة انه كما تدين تدان أي ما حدث لهم هو من صنع أنفسهم.

ووقع أيضا في قصة رجل شكا عيلة:«سَلِ الله من رزقه»[4]، كما وقّع في قصة رجل شكا غلبة الدين:«إن كان دينك في مرضاة الله قضاه الله»[5]؛ من خلال هذه التوقيعات نلاحظ أن الشكاية تختلف حسب طلب من شخص إلى أخر وهذين التوقيعين" لأبي جعفر المنصور" أرجعهما إلى الله وحده فهو الرزاق والمعطي، والذي يرضى عن عباده ويقضي دينهم.

ومن الشكاوي التي رفعت ضد العمال وعصيانهم وعدم طاعة رب العمل وتمردهم عليه ذلك ما وقع به "المنصور" الذي شكا إليه رجل من بعض عماله، فوقع في قصته إلى عامله: «أكفني أمره وإلا كفيته أمرك» [6].

---

[1] ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج4، ص204.

[2] المرجع نفسه، ج4،ص204.

[3] المرجع نفسه ،ج4،ص204.

[4] المرجع نفسه،ج4، ص204.

[5] المرجع نفسه،ج4،ص204.

[6] الثعالبي: خاص الخاص، ص69.

وقع المهدي في قصة متظلمين شكوا بعض عماله: «لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى الحق كما يُقاد الجمل المخشوش» [1] ؛ فالمهدي يطمئن المتظلمين أنه سيأخذ شكايتهم على محمل الجد وأنه سيحقق في الأمر ويعيد لهم حقهم، ويستدعي الظالم و يقوده إلى الحق.

ونجد بعض الشكايات ترفع ضد الخدم لسوء طاعتهم وتمردهم على سيدهم وعصيانهم للأوامر، فقد وقع "جعفر بن يحي" في قصة رجل شكى بعض خدمه: «خذ بأذنه ورأسه فهو مالك»[2] ؛ جعفر يعطي الحرية للرجل في معاقبة خادمه، لأنّه له الحق فيه فهو مسؤول عنه وفي تصرفاته ومعاقبته إن بَدَرَ منه أي خطأ.

وهناك شكاوي أخرى أخذت منحى أخر منها ما رفعت لفك الحاجة عنه والفقر، من ذلك ما وقّعه المهدي في قصة رجل شكا الحاجة:«أتاك الغوث» [3] ؛ فهو يطمئنه بسد حاجته وإعطائه مبلغًا من المال كي يُعين به نفسه .

وهناك شكاوي رفعت لفك العزوبة وإيجاد حل له، ما وقّعه جعفر بن يحي في قصة رجل شكى عزوبة: «الصوم لك وجاء»[4]؛ فهو يأمره بالصوم لأنه يعصمه من ارتكاب الفاحشة والوقوع في الإثم.

وهناك توقيعات رفعت في شكوا سوء الجوار؛ وكذا البعد، ما وقعه "جعفر بن يحي" في قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته: «يرحل عنكم» [5]؛ رد جعفر على هذه الشكاية بأن يرحل هؤلاء الأقارب وكفهم الأذية.

ونجد أيضا توقيع " المأمون" حين كتب إليه " عبد الله بن طاهر" يشكو إليه بعده عن حظرته ويسأله الإذن له في الإلمام بها فوقع في كتابه:« قربك يا أبا العباس إلى حبيب وأنت من قلبي حيث كنت قريب وإنّما بعدت دارك نظرا بك و رغبة إليك مع قول الشاعر»:[6]

رأيتُ دنَّوا الدَّار ليسَ بنَافعٍ إِذَا كانَ مَابيْنَ القلُوبِ بَعِيدُ

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص205.

[2] المرجع نفسه،ج4،ص205.

[3] المرجع نفسه، ج4،ص205.

[4] المرجع نفسه،ج4،ص211.

[5] المرجع نفسه،ج4، ص211.

[6] الثعالبي، خاص الخاص، ص70.

عالج الموقعون عدة مواضيع من شأنها حل المشاكل الاجتماعية في العصر العباسي، فقد كثرت الشكايات المرفوعة من طرف الرعية إلى الراعي ومحاولة الرعاة منهم حلها والنظر فيها، من أجل كسب ثقة الرعية وإرساء دعائم الدولة.

خامسا: التوجيهات الإدارية والسياسية:

شغلت الأمور السياسية والإدارية اهتمام الخلفاء العباسيين، في كيفية تسيير الدولة والحكم آنذاك، فقد كان الخلفاء يتراسلون مع ولاتهم في ولايات أخرى عن طريق التوقيعات بشقيها الإداري والسياسي، ويتواصلون عن طريق المكاتبات التي كان يبعث بها الولاة إلى الخلفاء في أمور شتى، وتسيير شؤون الرعية، فهناك من التوقيعات ما جاءت تدعو الولاة و القادة إلى حسن التسيير والعدل في إصدار الأحكام وتطبيق شرع الله وسنته، والمساواة بين الرعية، كي يسود النظام ودولة الحق والقانون، ومن التوقيعات التي جاءت في هذا الاتجاه، نجد توقيع " المهدي" إلى صاحب خراسان، كتب إليه يخبره بغلاء الأشعار: «خذهم بالعدل في المكيال والميزان»[1]؛ فالمهدي يطلب من صاحب خراسان أن يعدل في الميزان والمكيال، وأن لا يبخس الناس أشيائهم، ويحسن التصرف.

ووقع " الرشيد" إلى السندي بن شاهك:« خف الله وإمامك فهما نجاتك»[2]؛ في هذا التوقيع يأمر الرشيد السندي أن يخاف الله في حكمه ومعاملته للرعية، وتطبيق أحكام الله، وان يُطيع إمامه لأنه وليه، لأنهما سبيل نجاته في الدنيا والآخرة، فطاعة أولى الأمر من تمام النجاح.

ومن واجبات الوالي نحو ولايته ورعيته، أن يكون عارفا بشؤونهم مطلعا عليها، ومهتما بأمور رعيته فهو حريص على أمن واستقرار ولايته وتلبية حاجات رعيته، فقد وقع في هذا الشأن المأمون إلى بعض عماله: « طالع

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص205.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص207.

كل ناحية من نواحيك، وقاصية من أقاصيك بما فيها استصلاحها»[1]؛ فمن واجبات الوالي السهر على السير الحسن للرعية وشؤونهم، وكذا مراقبة الأمور والوقوف عليها، وزيارة كل منطقة في ولايته من أجل معرفة احتياجاتها.

كان الولاة والقادة شديدي المعاملة في توجيه الرعية، وذلك حفاظا على الحكم وعدم خروج الرعية عن طاعتهم وتمردهم عليهم، وفقد السيطرة على الأوضاع وإحداث الشغب، من ذلك توقيع هارون الرشيد إلى عامله على خراسان: «كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه»[2]، ووقع أيضا إلى صاحب المدينة: «ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن؛ فإنهم قد أطالوا ليلي بالسهاد، وتعوا عن عيني لذيذ الرّقاد»[3]؛ في هذين التوقيعين " لهارون الرشيد" يُشيد بضرورة التشدد مع الرعية المتمردين العصاة والسيطرة عليهم، ومعاقبة كل مخالف لأوامر الخليفة أو الوالي.

ومن التوجيهات الإدارية والسياسية التي أخذت من الحكمة والنصيحة في توجيه أمور الدولة، من ذلك ما وقّعه الرشيد إلى صاحب خراسان:« داوِ جرحك لايتسع»[4]؛ فهو يأمر صاحب خراسان أن يتولى أمور ولايته ويُحسن التدبير والتسيير، والمسارعة في حل الأمور؛ كي لا تختلط مع بعضها ويسهل حلها.

ومن التوجيهات الإدارية التي تناولتها التوقيعات حرصا من الولاة على التسيير الحسن لشؤون الدولة وكذا شؤون الرعية بما فيه خير وإصلاح، من ذلك توقيع " جعفر البرمكي" إلى صاحب ديوانه:«أحسن إلى الأكرة فإنهم الفعلة الذين يعملون، والفلاحون الذين يزرعون، قد جعل الله أيديهم لنا طعاما، وألسنتهم سلاما، فظلمهم حرام﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ ﴾[5]سورة القصص أية60 ؛ "فجعفر البرمكي" يطلب من صاحب ديوانه أن

---

[1] ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج4، ص208.

[2] المرجع نفسه، ج4،ص206.

[3] المرجع نفسه، ج4،ص207.

[4] أحمد محمد الحوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص275.

[5] الثعالبي ، الاقتباس من القرآن الكريم، ج2، ص148.

يهتم بالعمال المستأجرين والإحسان إليهم، وحسن معاملتهم حتى تكون هناك صلة وثيقة بينه وبين عماله من شأنها أن تساهم في ازدهار الدولة.

أما "الفضل بن سهل" فقد وقّع إلى صاحب الشرطة: «ترفق توفق»[1] ؛ يوجه الفضل صاحب الشرطة لعدم التسرع في اتخاذ القرارات، وكذا معاملتهم برفق من اجل كسبهم وتعاونهم وعدم التعدي على القوانين، وكذا للحفاظ على السير الحسن لشؤون الدولة.ّ

وقع "الصاحب بن عباد" إلى عامله لما بلغه أنّه يأخذ حقوق الرعية من غلة السلطان، وطلب منه أن يزيدهم، فقد وقع إلى عامل: «بلغني انك عزمت على تفرقة غلة السلطان في الرعية كرها، وما جعل الله ذلك لك ولا أمرك سلطانك أطال الله بقاءه، وليت ما فعلته عاما لم يُفعل، فإن عاديته كثرت، وعائدته قلت، فأجر- أيدك الله- أمر القوم في الرفق والإحسان مجراهم الأول، بل زدهم بحسب زيادة إحسان الله عن مولانا وعندي في خدمته، وأشفع ذلك لتكسب النفوس عن ضعفها قوة وعن خيفتها آمنة» [2]؛ "صاحب بن عباد" من المهتمين بأمور السياسة والإدارة وكذا شؤون الرعية والحفاظ على حقوقهم وتوزيع الغلات والأرباح عليهم مكافأة لهم على مجهوداتهم وكذا تقدير تعبهم فهي من الأمور التي تحقق العدالة بين أفراد الرعية.

كان الرشيد صارما في توجيه عامله في مصر، حيث وقّع في جباية الخراج: «يا محفوظ اجعل خرج مصر خَرَجًا واحدا، وأنت أنت»[3]؛ فهو ينبهه في عدم زيادة الخراج ونقصانه.

وقد تأتي التوقيعات في شكل توبيخ على عامل أساء التصرف، من ذلك توقيع "موسى الهادي" إلى صاحب إفريقية في أمر أفرط منه:«يا ابن اللخناء، أنّى تتمرس؟!» [4] ؛ موسى الهادي في هذا التوقيع يرد على صاحب إفريقية بلهجة شديدة وتوبيخه له لأنه أساء التصرف وأثار الفتن وخرج عن الحاكم.

---

[1] هاشم صالح منّاع،روائع من الأدب العربي العصر الجاهلي الإسلامي، الأموي، العباسي، ص317.

[2] الصاحب بن عباد، رسائل الصاحب بن عباد، ص223.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص206-207.

[4] المرجع نفسه ، ج4، ص206.

كما نجد توقيع "هارون الرشيد" إلى عامله على مصر:«احذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخي يوسف فيأتيك مني ما لا قبل لك به، ومن الله أكثر منه» [1] ؛ فهارون الرشيد هنا يهدد ويحذر عامله بمصر ويوصيه بتولي بيت المال وإدارة خزانة الدولة، ويهدده بعقابه في الدنيا والآخرة ويوصيه بالحفاظ على أموال المسلمين فهي أمانة.

سادسا: الرد على الولاة والعمال:

كان الاتصال بين الأمراء والوزراء بولاتهم وعمالهم في الولايات الأخرى عن طريق التراسل، حيث كان الولاة والعمال يرسلون رسائلهم إلى الخلفاء والوزراء في أمور الولاية وشؤون الرعية، وكانت هذه التوقيعات عبارة عن تهديدات بالعقوبة أو العزل لمن أساء السلوك أو التصرف إلى الولاة والعمال، ومن ذلك ما وقعه "أبو جعفر المنصور" في كتاب أتاه من صاحب أرمينية أن الجند شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم، فوقع في جوابه:«لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا»[2]؛ المنصور هنا يوصي بضرورة العدل بين الرعية؛ وإعطائهم حقوقهم كاملة لأن العدل يولد المحبة بين الوالي والرعية وضمان حقوقهم لأنه لو وفى لهم أرزاقهم لم ينهبوا ولم يخربوا.

ومن التوقيعات التي جاءت على شكل تهديد ووعيد، ما وقعه " الخليفة المنصور" إلى عبد الحميد صاحب خراسان:« شكوت فأشكيناك، وعتبت فأعتبناك ثم خرجت عن العامة، فتأهب لفراق السلامة»[3] ؛ المنصور هنا يوبخ صاحب خراسان ويطلب منه أن يستعد للعقاب و هو فصله من منصبه.

ومن ذلك أيضا ما وقعه "هارون الرشيد" إلى خزيمة بن حازم، غذ كتب إليه أنه وضع السيف في أهل أرمينية حين دخلها: «لا أم لك ! تقتل بالذنب من لا ذنب له» [4] ؛ من هذا التوقيع تبيّن أن الخليفة " هارون الرشيد" غضب من تصرف واليه ووبخه على فعلته؛ وهي قتل الأبرياء من غير ذنب.

---

[1] ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج4، ص206.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص205.

[3] هاشم صالح منّاع، روائع من الأدب العربي، ص313، 314.

[4] عبد الكريم حسين علي رعدان، فن التوقيعات في الأدب العربي، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد الرابع والثلاثون، يناير، يونيو، 2012م، ص251.

وعلى النحو نفسه من التوبيخ على العمال الذين أساءوا التصرف وقّع " ابن يزداد" في وزارته إلى عامل اعتد بباطل:«ما يبين لنا منك حسن أثر، ولا يأتينا عنك سار خبر وأنت مع ذا تمدح نفسك، وتصف كفايتك والتصفح لأفعالك يكذبك وتتبع لآثارك يرد قولك، وهذا الفعل إن اتكلت عليه وأخلدت إليه أعلقك الذم وألحقك العجز، فليكن رائد قولك مصدقا لموجود فعلك، إن شاء الله» [1] ؛ ابن يزداد يرد على عامله الذي اعتد بباطل وأنه يمدح نفسه على عكسها، وأنّ الاطلاع على أفعاله يعكس شخصيته.

كما نجد توقيع " جعفر بن يحي" إلى بعض عماله: «قد كثر شاكوك، وقلّ شاكروك، فغما عدلت وإمّا اعتزلت» [2]، يوبخ جعفر بعض عماله الذين كثر شاكوهم لتعسفهم ونشر الفساد، ويهددهم بالعزل إن لم يعدلوا.

ومن التوقيعات أيضا التي جاءت ردا على العمال وحثهم على القيام بالأعمال في وقتها وعدم تأجيلها، من ذلك توقيع أبو مسلم إلى عامله ببلخ: « لا تؤخر عمل اليوم لغد»[3] ؛ "فأبو مسلم الخراساني"يوصي عامله بعدم تأخير عمله والقيام به في وقته وذلك من أحسن الأمور أصلحها.

كما نجد توقيع " جعفر بن يحي" إلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه: « لم نزرعك لنحصدك » [4] ؛ فهو يعاتب واليه ويطلب منه عدم فعل أي شيء من شأنه أن يفسد علاقته مع الوزير لأنه هو من وضعه في منصبه وقَّع " عبد الله بن محمد يزداد" إلى بعض أصحابه في أمرٍ خافه:« يا أبا العباس ليس عليك بأس، ما لم يكن منك بأس» [5] ؛ فهو يخبره ألا يخاف ما دام انه لم يرتكب خطأ فليس عليه أي بأس ويطمئنه بعدم معاقبته لأنّه لم يقم بأي شيء مخالف لقوانين ولايته.

---

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج6، ص204.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص211.

[3] المرجع نفسه، ج4، ص211.

[4] المرجع نفسه، ج4، ص211.

[5] الثعالبي، خاص الخاص، ص72.

لم تكن التوقيعات في التهديد والتوبيخ والتأنيب فقط بل كانت أيضا عقابًا للولاة والعمال الذين يخالفون أمر الوزراء، وقد يكون العقاب الخلع أو العزل من المنصب، من بين هذه التوقيعات نجد توقيع المأمون إلى صاحب أرمينية حين كتب إليه:« أنّ الجُند قد استطالوا عليه وشغبوا في طلب أرزاقهم، حتى كسروا أقفال بيت المال فانتهبوه، فوقّع: «اعتزل عملنا، فلو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا، ثم قلَّد أمرهم من أحسن أدبهم، وأوصلهم حقهم» [1]؛ المأمون قام بعزل واليه على أرمينية لأنه لم يعدل في إعطائهم أرزاقهم حتى شغبوا عليه، وكسروا بيت المال، لأنه لو عدل لما تمردوا عليه وخرجوا عن طاعته، ثم أمر بإعطائهم حقوقهم.

وقد يكون التوقيع عزلاً للوالي على سوء اختياره لرجاله:« وقد دخل على طاهر بن الحسين لليمينين، كاتب العباس بن موسى الهادي، كان ركيكا، قال: أخيك بن موسى يقرؤك السلام، قال: وما تلى من أمره؟ قال: أنا كاتبه الذي أطعمه الخبز فوقع :يعزل العباس لسوء اختياره للأكفاء» [2]؛ وكان سوء اختيار العباس لكتابه سببا في عزله من منصبه لأن كاتبه لم يكن كُفْؤًا لهذه المهمة.

وقع " الصاحب بن عباد" إلى عامل: « عزلك أحسن حيالك، و نفيك أبلغ وثاقيك» [3]؛ قرر الصاحب أن عزل هذا العامل أحسن له بالنظر إلى ما فعله.

كما نجد توقيع" ابن الزيات"إلى عامل له:« توهمتك شهما كافيا فوجدتك رسما عافيا، لا محاميا ولا وافيا»[4]؛ ابن الزيات يخيب ظنه بعامله، فهو ظنه شهما لكنه تبيَّن له أنّه مجرد رسم لا يفيده بشيء.

وفي بعض الأحيان يكون الوزير صارما في إصدار الأحكام والقوانين متشددًا مع عماله وبطانته، من توقيع " هارون الرشيد" إلى صاحب المدينة:« ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن، فإنّهم قد أطالوا ليلي بالسهاد

---

[1] الثعالبي، تحفة الوزراء، ص99.

[2] ابن طيفور،كتاب بغداد، ص73.

[3] الثعالبي، خاص الخاص، ص73.

[4] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج8، ص26-27.

ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد»[1]؛ هارون الرشيد متشدد في معاملته لعماله ويطلب من واليه على المدينة أن يتخذ الإجراءات اللازمة لردع المتمردين.

اتجهت موضوعات التوقيعات اتجاها أخر على خلاف التهديد بالعقوبة والعزل والتوبيخ، فجاءت أيضا التوقيعات بالرضاء والتأييد لما جاء في كتب الولاة والعمال، وهذا ما نجده في كتاب "هارون الرشيد" إلى بكار الزبيري يخبره بسر من أسرار الطالبين:«جزي الله الفضل خير الجزاء في اختياره إياك، وقد أثابك أمير المؤمنين بمئة ألف بحسن نيتك» [2] ؛ هارون الرشيد في هذا التوقيع راضٍ على بكار الزبيري فأثابه على حسن صنعه.

ووقّع "الفضل بن سهل" إلى عامل له: «نعم الشفيع في بقاء النعمة عليك حسن سيرتك، واعتماد الصيانة والعفاف فَدُمْ على هذه الطريقة تبقى لك النعمة إن شاء الله» [3]؛ الفضل بن سهل يثني على عامله ويمدحه على حسن سيرته ويطلب منه البقاء على هذا الطريق لدوام نعمته.

كان الخلفاء العباسيون ووزرائهم وقادتهم يحرصون على السير الحسن للدولة العباسية والوقوف على أمور الرعية وكذا العمال وولاتهم في الولايات الأخرى، والإطلاع على أخبار الدولة والتراسل معهم لحل الأمور العالقة، وكذا الرد على مطالبهم واستفساراتهم، من جهة أخرى ردع المفسدين والراغبين في نشر الخراب وإثارة الفتن من أجل دولة عدل وقانون، كي يعم السلام والإستقرار.

سابعا: الرد على السعاة والوشاة:

من أبرز المواضيع التي تناولتها التوقيعات العباسية الرد على السعاة والوشاة الذين ظهروا في العصر العباسي محاولين تخريب أمن واستقرار الدولة وزرع الفتنة في المجتمع؛ من خلال الوشاية و السعاية، فقد كان هؤلاء الوشاة يبعثون إلى الوزراء والخلفاء وينقلون لهم الأخبار قاصدين الوشاية وإحداث الفتنة.

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص207.

[2] أحمد زكي صفوت،جهرة رسائل العرب ، ج4، ص367.

[3] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج2، ص127.

وقد اختلفت هذه التوقيعات وتباينت مقاصدها، هناك من جاءت معارضة للوشاية وردعا لهذه الفئة من الناس، من ذلك توقيع " أبو العباس السفاح" إلى ساع: «تقرَّبت إلينا بما باعدك عن الله، ولا ثواب لمن خالف الله» [1]؛ يعتبر "أبو العباس السفاح "تقرب هذا الساعي مُخالفًا لأوامر الله، وأنه لا ثواب لمن يخالف الله تعالى.

وكتب أيضا " خالد إلى يحي" المتولي على أذربيجان: " إلى يحي بن خالد بن برمك: أما بعد: «فما حقوقا قد منعت وأموالا قد تحيفت، فإن رسمت ببيع ذلك وكشفه، بلغ ما يوفي على خراجها، فلما وقف يحي بن برمك على الرقعة كتب في ظاهرها: وقفنا على هذه الرقعة المذمومة، وسوق السعادة عندنا بحمد الله كاسدة، وألسنتهم لدينا معقولة، وما بعثناك إلى الناحية لتحيي العظام النخرة، وإلا لتبيع الآثار المذمومة، فخذ الناس على قانونهم، وطالبهم بما في ديوانك، ودع التكشف والتتبع، فهذه مدة تمضي، وأيام تنقضي، فإنه ذكر جميل أو حزن طويل، وحسبي وحسبك قول جرير» [2]:

وكنتُ إذَا نَزَلْتُ بِدَارِ قَومٍ رَحَلْتُ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتُ عَارًا.

رد "البرمكي" على سعاية متولي أذربيجان بأنها بضاعة كاسدة خاسرة، وطلب منه أن يدع مراقبة الناس وتركهم في شؤونهم الخاصة، وعدم السعي ورائهم، كما أنّه أعفاه من مهمته، ونصحه بترك السعاية فهي فعل مُشين وذميم.

كتب صاحب المقاطعة بهمدان إلى "الفضل بن سهل" يذكرْ أن كاتب المتولي للبريد بهذه الكُورَة، ذكر أن صاحبه اقتطع مالا جليلا من مال السلطان، وأنه يصحح ذلك عليه، وأنه وُكِل به وبصاحبه، ليصحح ما رفعه، فوقع على كتابه: «قبول السعاية شر من السعاية، لأن السّعاية دلالة، والقبول إجازة، ومن قَبِلَ ما نهى الله عنه كان بعيدا منه، وحقيقا ألاّ يُقبل قوله، فانْفِ هذا الكاتب، فإنه لم يَرْعَ ما كان يجب أن يرعاه من حقوق صاحبه،

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص368.

[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ، ج11، ص40.

وحُرمة خدمته» [1]؛ يرد "الفضل بن سهل" على صاحب مقاطعة همدان بأنّ قبول السعاية أكثر شرا من السعاية نفسها، ومن يقبل بشيء نهى الله عنه كان بعيدا عنه، وأمر بنفيه لأنه لم يَصُنْ حُرمة خدمته ولم يرعى حقوق صاحبه.

وكان "الفضل بن سهل" يكره ويبغض السعاة ويقصيهم، وإذا جاءه ساعٍ قال له: « إن صدقتنا أبغضناك، وإن كذَبْتنا عاقبناك وإن استقلتنا أقلْناك» [2]؛ ومنها يتبين أن الفضل بن سهل يكره السعاة ويبغضهم ولا يستمع إليهم، ويعاقب السعاة الكاذبين.

وكان الموقعون أحيانا ينتظرون التحقق من الوشاية ومدى صدقها وصحتها، وما تحمله من أخبار، وقع "طاهر بن الحسين" في رقعة متنصح:﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3]،سورة النمل الآية27؛ "الطاهر بن الحسين" أراد التأكد من السعاية التي وصلت إليه أكانت صادقة أو مزيفة.

ومن ذلك أيضا أخذت التوقيعات منحى أخر وهو عدم مبالاة الحكام بتلك الوشايات والسعايات ويهملونها ولا يلتفتون إليها، من ذلك توقيع طاهر بن الحسين في قصة ساع:«لا يلتفت إليه» [4]؛ فهو يدعو هنا إلى عدم الالتفات إلى هذا الساعي وسعايته.

كما نجد "صاحب بن عباد" يوقع لشخص استرق السمع:«دارنا هذه خان، يدخلها من وَفَى ومن خان»[5]؛ فالصاحب بن عباد هنا لم يلتفت إلى هذا الساعي ولم يوليه أي اهتمام وسخر منه.

كما اشتملت السعاية والوشاية على النميمة، فهي صفة مذمومة ذمها الإسلام ونهانا عنها، لأنها تهدم العلاقات بين أفراد المجتمع حتى وإن كانت صادقة، ووقّع "جعفر بن يحي البرمكي" في قصة متنصح:«بعض الصدق قبيح» [6]؛ فقد اعتبر جعفر هذه السعاية قبيحة حتى وإن كانت صادقة .

---

[1] الجهشياري ، الوزراء والكتاب، ص308.

[2] المرجع نفسه، ص308.

[3] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص390.

[4] ابن طيفور،كتاب، بغداد، ص73.

[5] الثعالبي ، يتيمة الدهر، ، ج3، ، ص234

[6] أحمد زكي صفوت ،جمهرة رسائل العرب ،ج4،ص384.

كما وقع "ذو الرياستين" في رقعة ساعٍ: « نحن نرى قبول السعاية شر منها؛ لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دّل على شيء وأخبر به، كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي؛ فإنه لو كان في سعايته صادقا لكان في صدقه أثما، إذا لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة» [1]؛ يرى ذو الرياستين أن قبول السعاية وتصديقها أعظم ذنب، وأكثر من السعاية نفسها، حتى وإنْ كان الساعي صادقا، ولكن صدقه يعتبر إثم، لأنه لم يستر العورات ولم يحفظ الحرمات.

يهدف الخلفاء والوزراء العباسيون إلى المحافظة على أمن واستقرار الدولة العباسية وحمايتها من مثل هذه الفئة؛ لأنها تشكل خطرا على المجتمع وتماسكه، فهي تسعى إلى بناء المجتمع وترابطه من خلال زرع الثقة بين الحاكم والمحكوم وكذا صيانة أعراضهم وحفظ ممتلكاتهم، وهذه التوقيعات جاءت كردع لهذه الفئة ومنعها من الانتشار وزرع الفتن.

ثامنًا: الرد على العصاة والمتمردين.

سلكت التوقيعات طريقا أخر عالجت فيه موضوع الرد على العصاة والمتمردين، هذه الفئة كانت خارجة عند الدولة العباسية، حيث كانت تهدد أمنها وسلامة شعبها، فراح الموقعون يخاطبون هذه الفئة الخارجة عن طاعتهم لردعهم، واستعمال الحزم والشدة وقد يتطلب الأمر من الخلفاء والوزراء إلى استعمال القوة والعنف للتخلص منهم، ومن ذلك توقيع " طاهر بن الحسين" في قصة قوم شغبوا على عاملهم: « الشغب للفرقة سبب فَلْتُمْحَ أسماؤهم، وتحسن آدابهم، وتقطع بالنفي آثارهم» [2]؛ فهو يأمر عامله، بضرورة استعمال القوة مع هؤلاء المتمردين الذين يشكلون خطرا على المجتمع مما يؤدي إلى الفرقة وزرع الفتن وعدم التعامل معهم بالرفق واللين وعدم التساهل معهم.

---

[1] خليل بن أيبك الهندي،تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د ط، 1969م، ص234.

[2] ابن طيفور، كتاب بغداد، ص73.

كما نجد "الصاحب بن عُباد" يدعو إلى معاملة العصاة بالشدة والحزم للقضاء عليهم، فرفع إليه عصى له أمرا، فوقّع: «العصا لمن عصى»[1]، ووقّع أيضا في كتاب مخالفيه: ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾[2]سورة البقرة آية 79؛ فالصاحب في هذين التوقيعين يتوعد مخالفيه بالعقاب و العذاب وسوء الخاتمة.

أما "الفضل بن سهل" يتخذ في حكمه على العصاة والمتمردين بتطبيق حدود الله وشرعه سواءً بالقتل أو الصلب أو القصاص كي ينالوا خزيا في الدنيا وعذابًا أليمًا في الآخرة، إذ وقّع في قصة قوم قطعوا الطريق:﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾[3]،سورة المائدة الآية 33 ؛ أي أنه يطبق أحكام الله الشرعية، ويعاقب المتمردين والذين يفسدون في الأرض وينشرون الخوف والرعب في نفوس الناس و عقابهم النفي أو القتل أو الصلب وينالوا العذاب في الدنيا والآخرة.

تاسعا: الرد على المستعطين:

من الموضوعات التي تضمنتها التوقيعات أيضا التوجه إلى أصحاب الجاه والسلطان لطلب يد العون طمعا في العطايا والهدايا والمال والتكسب والاستزادة في الرزق، فالموقّع كان ينظر في الطلبات وإن كان المستعطي مستحقا أو غير مستحق، وكثيرا ما كان الولاة يلبون طلبات المستعطين، من ذلك توقيع الحسن بن سهل حين كتب إليه رجل يتوسل بسالف إحسانه ووقّع: «مرحبا بمن توسل إلينا بنا، وأمر له بصلة»[3]؛ الحسن يلبي طلب المستعطي ويرحب به وأمر له بعطية تسره.

---

[1] الثعالبي، خاص الخاص، ص73.

[2] الثعالبي، يتيمة الدهر، ج3، ص234.

[3] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص390.

ووقّع أيضا إلى رجل شكا غلبة الدين: «قد أمرنا لك بثلاثين ألفا سنشفعها بمثلها ليرغب المستمنحون»[1]؛ فهو يُرغب العطاء للمستمنحين ويزيد فيه.

فقد كان العطاء في هذا العصر وافرا يعكس البيئة العباسية آنذاك فقد كانت الحياة في تلك الفترة تنعم بالرفاهية والثراء، وكان العطاء في بعض الأحياء قليلا على قدر الطلب، فقد وقّع "طاهر الخزاعي" في قصة مستمنح :«يبل حاله»[2]، ووقّع كذلك في قصة مستوصل «يقام أوده» [3]؛ أي أنه أمر بإعطائه قدرا قليلا من المال كي يستقيم حاله، ويعين به نفسه من جهة أخرى كانت تصد طلبات العطايا والمستعطين، إما لقلة المال أو أن طالب الصلة أخذ في المرة السابقة، من ذلك ما وقّعه "يحي بن خالد البرمكي" حيث عاود رجل التماس الصلة بعد أن أخذها مرة:«دع الضرع يدر لغيرك كما در لك»[4]؛ فالبرمكي يرفض طلب هذا المستعطي لأنه اخذ صلة من قبل ولا يحق له أخذها مرة أخرى، ويترك الفرصة للآخرين، فتوقيعه هذا كان ردا شافيا لهذا الطامع.

من ذلك أيضا توقيع "عمرو بن مسعدة" قال: «كنت أوقّع بين يدي جعفر بن يحي البرمكي فرفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في رواتبهم، فرمى بها إلّي، وقال: أجب عنها، فكتبت: قليل دائم خير من كثير منقطع فضرب بيده على ظهري وقال: أيُّ وزير في جلدك؟»[5]؛ نستخلص من توقيع عمرو بن مسعدة أن الإنسان يرضى بالشيء الذي عنده ولا يطمع في الآخرين، وأنّ يحمدوا النعمة التي عندهم.

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص212.

(2) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص73.

(3) المصدر نفسه، ص73.

(4) الثعالبي، خاص الخاص، ص71.

(5) ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، مج3، تح: إحسان عباس، دار صادر،بيروت، د ط، د ت، ص476.

رفع شاعر إلى" الصاحب بن عباد" رقعة فيها مديحة رديئة فوقّع له فيها بمائة درهم فعاد يلحف، فوقّع:« تلك المديحة تكفيها مائة منيحة»[1]؛ فالصاحب يسخر من الشاعر الذي كتب إليه مديحة رديئة وأراد بها هدية، فهو طمع في الصاحب أن يمنحه عليها.

ومن الصلات التي رفضها الموقعون ما كتبه "العباس بن الحسن" حين كتب إليه الفرات وعلي بن عيس ومحمد بن داود ومحمد بن عبدون يستزيدونه فيها، فوقّع بخطه على ظهرها:«ما حالكم حال مستزيد، ولا فوق ما أنا بكم مزيد، فإن تكن الاستزادة من مال فهو موفور عليكم. وإن تكن من رأي فالأعمال لكم، ولي اسمها عليّ عبئها وتدبيرها، و أقول لعلي بن محمد من بينكم الذي يطبق نفسه تدللا واعتدالا: امن بؤسٍ كانت هذه الاستزادة أم من بطر النعمة ودلال الترفه؟ و لي في أمر جماعتكم نظر ينكشف عن قريب، وحسبي وحسبكم الله ونعم الحسيب»[2]؛ فهو يرفض طلب الاستزادة، أنهم ليسوا أهلاً لها، كما أنه يسألهم إن كان طلبهم للاستزادة من فقر أو من رفاه، أنه سينظر فيهم أصدقوا أو كذبوا مني طلبهم لهذه الاستزادة.

كانت تنعم الدولة العباسية برفاهية منقطعة النظير، فقد عاش الخلفاء والوزراء والقادة حياة نعيم وجاه، هذا ما جعل الرعية يطمعون في الاسترزاق منهم وطلب الهدايا والعطايا، من خلال إرسالهم كتبا يطلبون فيها عطية أو هبة، أو زيادة في الأجر كثيرا ما كانت تلبى تلك الطلبات من بعض الخلفاء، من جهة أخرى كانت ترفض بعض الطلبات.

[1] الثعالبي، خاص الخاص، ص74.

[2] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج6، ص134.

المطلب الثاني: الخصائص الفنية للتوقيعات في العصر العباسي

يعتبر التوقيع فنا من فنون الكتابة النثرية، اتسمت بخصائص فنية مميزة، قد تميزت بالإيجار وقصر الجمل وبلاغتها وهي دليل على براعة الكتاب في العصر العباسي، وما اكتسبوه من مهارة وبراعة ودقة في كتابة التوقيع كما امتازت جمل التوقيعات بالسجع والاقتباس من القران الكريم، إضافة إلى هذه الخصائص الفنية هناك الصنعة والتصوير.

أولا – الإيجاز في التوقيعات :

يعتبر التوقيع نوعا من أنواع الإيجاز، فهو كلام موجز يحمل دلالات ومعان كثيرة رغم قصر جمله، والإيجاز من أهم الخصائص الفنية للتوقيع ، وإذا كانت جمل التوقيعات طويلة فقدت مميزاتها الأسلوبية، فهي تعتمد على الإيجاز في التعبير، وهذا ما يذكره ابن خلدون في مقدمته ويجب أن يكون التوقيع «بأوجز لفظ وأبلغه»[1]؛ وبذلك فالتوقيع جمع بين الإيجاز والبلاغة، وأينما كان الإيجاز كانت البلاغة .

فالعرب قديما كانوا يميلون إلى الإيجاز ويفضلونه على الإطناب والتوسع، وأنّه من خصائص اللغات السامية قديما وهذا ما جاء بيه محمد نبيه حجاب «وأنها نبعت من الصدور العربية لأنها من ضرورات الملك، واستبحار العمران فضلا عن طابعها الموجز الذي هو من سمات الأساليب السامية»[2]؛ أي أن التوقيعات ظهرت عند العرب لأنها كانت من أهم الوسائل التي كان يستعملها الكتاب في الرد على الرقاع والحواشي المرفوعة إليهم فلكثرة المكاتبات المستعجلة لابد أن يكون هناك استعجال في الرد ، وبالتالي يتحتم عليه استعمال عبارات موجزة تحمل في طياتها معان عديدة .

كانت التوقيعات في بداية الأمر تتكون من حرف واحد وبعضها من كلمة واحدة أو كلمتين، حتى أن وصلت إلى الجملة الواحدة أو أكثر، ثم تعدتها إلى مجموعة من الجمل حتى أصبحت عبارة عن فقرة، ومن أمثلة

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 184.

[2] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص 98.

التوقيعات التي امتازت بالإيجاز نجد توقيع "الصاحب بن عباد" بالحرف: "حيث كتب إليه بعضهم رقعة فيها:«إن رأى سيدنا أن ينعم بما سألته إياه فعل. ولما ردت إليه لم ير التوقيع فعرضها على أبي العباس الضبي فتفحصها حتى عثر على توقيع وهو الألف الواحدة ن فأثبت الصاحب أمام فعل ألفا يعني أفعل، فاستطاع "الصاحب بن عباد "التوقيع بحرف واحد كان جوابا على السائل في رقعته وأعطاه ما طلب»[1].

ومن التوقيعات التي جاءت من كلمتين توقيع "طاهر بن الحسين" في قصة مستأمن :«يؤمن سربه»[2]. ووقع أيضا في قصة مستجير: «أنا جاره»[3].

ونجد أيضا الإيجاز في توقيع "الفضل بن سهل " إلى حاجبه: «تمهل وتسهل»[4].كذلك يظهر لنا الإيجاز بكلمتين توقيع طاهر بن الحسين في رقعة مستوصل:«يقام أوده»[5]؛ ففي التوقيعات السابقة نلاحظ الموقعين أجابوا في الرقاع المرفوعة إليهم بإيجاز شديد وتجيب على صاحبها بأوجز معنى وأقل لفظ.

أما التوقيعات التي جاءت بعبارة واحدة نجد توقيع المهدي إلى صاحب خراسان في أمر جاءه: «أنا ساهر وأنت نائم»[6]؛ فهو يخبره أنه على دراية كاملة، و أنه لا يقوم بعمله على أكمل وجه.

ووقع "هارون الرشيد" في رقعة متظلم من عامله على الأهواز ـ وكان بالمتظلم عارفا ـ :«قد ولينا ك موضعه، فتنكب سيرته»[7]؛ أي أنه من ولاه منصبا وهو يعزله عنه. ووقع طاهر بن الحسين إلى السندي بن شاهك وجاءه منه كتابا يستعطفه فيه: «عش ما لم أرك»[8].

---

(1) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج 3، ص 233.

(2) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص 73.

(3) المرجع نفسه، ص 73.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 212.

(5) المرجع نفسه، ج4،ص 214.

(6) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص 372.

(7) هاشم صالح مناع، روائع من الأدب العربي، ص 315.

(8) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 213.

ومن التوقيعات كذلك التي اتسمت بالإيجاز، توقيع "الحجاج بن يوسف" في صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسي من مداراتهم :«ما ظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه»[1]؛ أي أنه يسأله عن رأيه في قوم قتلوا سيدهم وهو هنا يشير إلى الإمام علي (رضي الله عنه).

وهناك توقيعات أخرى تكون أكثر من جملة، وهذا ما نجده في توقيع "الحسن بن سهل" في قصة قوم تظلم من وإليهم :«الحق أولى بنا، والعدل بغيتنا، وإن صح ما ادعيتم عليه صرفناه وعاقبناه»[2].

ووقع "الفيض بن أبي صالح" في رقعة معتذر تائب:«التوبة للمذنب كالدواء للمريض، فان صحت توبته أتم الله شفاءه، و إن تكن الأخرى أدام الله داءه»[3].

وقع السفاح في كتاب "أبي جعفر المنصور" وهو يحارب ابن هبيرة بواسط: «إن حلمك أفسد علمك وتراخيك اثر في طاعتك ،فخذ لي منك، ولك من نفسك»[4]؛ ومن الملاحظ أن التوقيع بالإيجاز تجاوز الجملة الواحدة وأنها تمتاز بمعناها الواسع بأوجز لفظ و أبلغه.

أما التوقيعات التي تجاوزت الحرف و الجملة أصبحت عبارة عن فقرة قصيرة، هذا ما نجده في توقيع "المأمون" إلى الواقدي فقد كتب يذكر دينا عليه يستمنح:«فيك خصلتان: سخاء و حياء، أما السخاء فهو الذي أطلق يدك فيما ملكت؛ وأما الحياء فهو الذي حملك على أن ذكرت بعد دينك دون كله، و قد أمرت لك بضعف ما كتبت فزد في بسط يدك، فإن خزائن الله مفتوحة، ويده بالخير مبسوطة»[5].

ووقع "عبد الله بن طاهر" إلى عمال له شكاهم الرعية :«قد قدمت إليكم الأعذار، واحتججت إليكم بالإنذار، وليت العتاب بالغا ما أردت ولقد هممت بأن اجعل معاقبتي لكم معاقبة، فانتبهوا من سنتكم، وانظروا

---

(1) ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج4، ص 210.

(2) المرجع نفسه، ج4، ص 212.

(3) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص 383.

(4) المرجع نفسه،ج4، ص 367.

(5) المرجع نفسه، ج4، ص 380.

لأنفسكم وأحسنوا بالأكره، فإن الله تعالى جعل أيديهم لنا طعاما وألسنتهم سلاما، وظلمهم حراما، وما عند الله خير وأتقى أفلا تتذكرون»[1].

كما وقع "أحمد بن يوسف" في كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده : «مستتم الصنيعة من صابرها فعدل زيفها، وأقام أودها، صيانة لمعروفه، ونصرة لرأيه، فإن أولى المعروف مستحق، وآخره مستثقل تكاد أوائله تكون للهوى و أواخره تكون للرأي، و لذلك قيل: رب الصنيعة أشد من ابتدائها»[2].

إن المتتبع للتوقيعات العباسية يلاحظ أن هناك تفاوتا واضحا في حجمها و شكلها فبعدما كانت بحرف واحد ثم تعدتها إلى الكلمتين ثم إلى جملة ثم إلى فقرة قصيرة ، وبالتالي نلاحظ أن العباسيين كانوا يبالغون في إيجاز توقيعاتهم، إلا أن الإيجاز لم يدم طويلا وهذا راجع إلى تغير الحياة في العصر العباسي ووفود العنصر الأجنبي استطاعوا التأثير في اللغة العربية لأن أغلبية الكتاب كانوا دخلاء ،وبالتالي أثروا في الكتابة العربية، وتخلوا عن الإيجاز شيئا فشيئا ومالوا إلى التطويل والإطناب.

ثانيا –الصنعة :

يعتبر البديع فنا أسلوبيا برز في كثير من التوقيعات العباسية، شاعت فيها المحسنات البديعية، كالسجع، والجناس، إضافة إلى الطباق، والمقابلة، فهذه المحسنات تزين الكلام وتزيده حسنا وجمالا، فتترك أثرا في أذن السامع وهي تجري مجرى الطبع و تصيب المعنى من غير تكلف وإذا أكثر منها فهي تحرم الكلام رونقه وجماله فتصبح سببا في اضطراب الأسلوب ومن هذه المحسنات نجد:

1– السجع في التوقيعات:

جاء السجع في مواضيع كثيرة من توقيعات الخلفاء، الوزراء والولاة، من ذلك توقيع "أبو جعفر المنصور" إلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل: «طهر عسكرك من الفساد يعطيك النبيل القياد»[3]، جاء السجع في كلمتي "الفساد" و"القياد" ونلاحظ التوافق في حرفي الألف والدال، وتساوي فقراته مما أعطى لتوقيع المنصور معنى بليغا في توجيه عامله من أجل القضاء على الفساد.

---

[1] أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ج4، ص 393.

[2] المرجع نفسه ،ج4، ص 395 .

[3] المرجع نفسه، ج4، ص 370.

أما "هارون الرشيد" فيوقع إلى صاحب المدينة المنورة : «ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن، فإنهم قد أطالوا ليلي بالسهاد و نفوا عن عيني لذيذ الرقاد»[1]، تمثل السجع في كلمتي "السهاد" و"الرقاد" مع تساوي الفقرات وقد كان أهل المدينة سبب في قلق وأرق الرشيد جعلاه لا يهنأ بلذة النوم و راحة الليل.

ومن توقيعات الوزراء التي ورد فيها السجع، توقيع يحي البرمكي في تهديد من شكي إليه ظلمه: «بئس الزاد إلى المعاد، ظلم العباد»[2]، تجسد السجع في كلمتي "المعاد" و"العباد" وهي من التوقيعات التي جاءت توجيها شديدا إلى العمال والولاة الذين يعتدون على حقوق الآخرين .

كما نجد توقيع "محمد بن عبد الملك الزيات" على رقعة رجل توسل إليه بقرب الجوار منه :«الجوار للحيطان والتعطف للنسوان»[3]، تجلى السجع في كلمتي "الحيطان" و"النسوان " توافقا في الفاصلتين الألف والنون، وهذا السجع يدعم المعنى الذي جاء به التوقيع وهو السخرية والتهكم من هذا المتوسل.

ومن التوقيعات التي جاء فيها السجع نجد توقيع "أبي جعفر المنصور" في كتاب جاءه من صاحب الهند، يخبره أن الجند شغبوا عليه، وكسروا أقفال بيت المال وأخذوا أرزاقهم منه:«لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينهبوا»[4] هذا التوقيع جاء ردا على الوالي الذي لم يعدل فتمرد عليه جنده وهذا السجع جاء مناسبا لهذا التوقيع. و تمثل السجع في كلمتي "يشغبوا" و"ينهبوا".

كما نجد أيضا توقيع "الصاحب بن عباد" في الاعتذار عن هارب:«من خشن مقره، حسن مفره»[5] والسجع في كلمتي "مقره" و"مفره " جاءت مناسبة مع توقيع الصاحب لهذا الهارب.

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 207.

[2] الثعالبي ، تحفة الوزراء ، ص 99.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج 5 ، ص 102 .

[4] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص 370 – 371.

[5] الثعالبي ، تحفة الوزراء ، ص 97.

أما توقيع "محمد بن عبد الله بن طاهر"، إلى كتاب قد ضاقت بهم الكواغد في أيام فتنة المستعين والمعتز: «دققوا الأقلام، وأوجزوا الكلام، فان القراطيس لا ترام و السلام »[1]؛ فالسجع هنا تمثل في ثلاث كلمات "الأقلام" و"الكلام" و"السلام"، فقد تلائم السجع مع التوقيع، الذي دعا فيه كتابه إلى إيجاز الكلام وحسن السبك و الصياغة.

2- الجناس في التوقيعات:

تمثل الجناس بنوعية التام والناقص في مجموعة من التوقيعات العباسية ، مما أضفى عليها حسنا و جمالا، كما في توقيع "المهدي "إلى يوسف البرم * حين خرج بخراسان :«لك أماني ومؤكدة أيماني »[2]، جاء الجناس الناقص في كلمتي "أماني" و"أيماني" وذلك بزيادة حرف الياء في الكلمة الثانية، وجاء مناسبا مع موضوع التوقيع في إعطاء الأمان لطالبه.

ورفع إلى "عبد الله بن طاهر" في إفساد بعض البيوتات فوقع :« إن أهل البيت إذا أكثروا ففيهم الغرر والعرر»[3]، برز الجناس الناقص في كلمتي "الغرر" و"العرر" وكان باختلاف حرف واحد، وهناك تشابه بين اللفظتين استعان بهما عبد الله بن طاهر في توقيعه .

ووقّع "عبيد الله بن سليمان بن وهب" إلى أحمد بن طولون: «اتق الله في الأرصاد فان الله بالمرصاد»[4]؛فتمثل الجناس في كلمتي "الأرصاد" و"المرصاد" ، فهاتين الكلمتين أثرتا في المعنى المقصود وكذلك تلاءمتا مع التوقيع.

---

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص 399.

*هو يوسف بن إبراهيم بن البرم من أهل خراسان، ثار على المهدي، صلبه المهدي في بغداد سنة 160هـ/770م.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 205.

[3] الثعالبي أبو منصور ، المتشابه ، تح: إبراهيم السامرائي ، مطبعة الحكومة ، بغداد، 1967م، ص 12.

[4] الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 72 .

أما الجناس التام فنجده في توقيع "الصاحب بن عباد" حين رفع إليه رجلا يدخل داره يسترق السمع فوقّع : «دارانا خان يدخلها من وفى ومن خان»[1]، جاء الجناس التام في كلمة "خان" فقد وردت في معنيين مختلفين، فالمعنى الأول جاء بمعنى المكان أما الثانية بمعنى الخيانة والغدر.

وفي توقيع أخر له لرجل عصى له أمرا فوقع: «العصا لمن عصا»[2]، جاء الجناس التام في كلمة "عصا" فالكلمة الأولى جاءت اسما و الثانية فعلا.

3- الطباق في التوقيعات:

حفلت التوقيعات العباسية بالطباق، ويعني بجمع الشيء و ضده بكلى نوعيه، الإيجاب والسلب، وطباق الإيجاب هو الذي طغى في التوقيعات على خلاف السلب، ومثال ذلك توقيع "أبو جعفر المنصور" إلى رجل استوصله: «لا مانع لما أعطاه الله »[3]، وقد برز الطباق في كلمتي "مانع " و "أعطى " وهذا الطباق زاد من قوة المعنى و تأكيده، فهو يرد على هذا المستوصل أنه لن يمنع عنه الرزق الذي أعطاه الله إياه .

كذلك توقيع "المهدي" إلى صاحب خراسان في أمر جاءه: «أنا ساهر و أنت نائم»[4]، وقد جاء هذا التضاد مناسبا للتوقيع الذي أراد به المهدي إلى عامله .

ونجد أيضا توقيع" المأمون" في قصة متظلم من علي بن هشام: «يا أبا الحسين ، الشريف من يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه . فأنظر أي الرجلين أنت»[5]، تجسد الطباق في كلمتي " فوقه " و " دونه " وهذا الطباق مناسب مع توقيع المأمون فهو أراد معرفة من هذا الرجل أكان ظالما أو مظلوما .

---

[1] الثعالبي، المرجع السابق، ص 73 .

[2] المرجع نفسه ، ص73 .

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 205.

[4] المرجع نفسه ، ج4، ص 205 .

[5] الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 69 .

4– المقابلة في التوقيعات:

جاءت التوقيعات العباسية كذلك في نوع أخر من البديع اصطبغت وتلوّنت بها ، وهي المقابلة التي أعطت للتوقيعات رونقا وجمالا ، وزادت في تقوية المعنى ، ومن ذلك ما وقعه "هارون الرشيد" في قصة رجل من البرامكة : «أنبتته الطاعة وحصدته المعصية»[1]، وهذا التوقيع متكون من عبارتين متقابلتين " أنبتته الطاعة" ، "حصدته المعصية " ، فكل عبارة تكونت من كلمتين تقابلهما كلمتان في العبارة الثانية تضادها في المعنى "أنبتته " تقابلها " أحصدته " و" الطاعة " تقابلها " المعصية " فقد أفادت هذه المقابلة في رفض الاستعطاف وعدم تحقيقه .

وكذلك توقيع " الفيض بن أبي صالح "في وزارته على ظهر رقعة معتذر : «التوبة للمذنب كالدواء للمريض فان صحت توبته كمل الله تعالى شفاءه، وإنْ فسدت نيته أعاد الله تعالى داءه»[2]، وتبدو المقابلة في عبارتين "صحت توبته" و "فسدت نيته".

وقع "المأمون" في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : «يا عمرو أعمر نعمتك بالعدل، فإن الجور يهدمها»[3]، المقابلة في عبارتي "أعمر نعمتك بالعدل " و " الجور بهدمها " ، فالمأمون يدعو عمرو بن مسعدة إلى العدل .

نجد توقيع "جعفر بن يحيى" في قصة محبوس :« الجناية حبسته ، والتوبة تطلقه»[4]، توجد عبارتان متقابلتان " الجناية حبسته " و" التوبة تطلقه ". فهو يبين للمحبوس سبب حبسه وسبب إطلاق سراحه وهذه المقابلة جاءت مناسبة مع قصة المحبوس.

---

[1] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج 4 ، ص 206 .

[2] التوحيدي، البصائر و الذخائر، ج 6 ، ص 221 .

[3]–ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 207.

[4]–المرجع نفسه ، ج4، ص 211 .

كذلك توقيع "ابن إبراهيم بن العباس" على رقعة كتاب بمدح رجل وذم أخر:« إذا كان للمحسن من الجزاء ما يقنعه ، وللمسيء من النكال ما يقمعه ، بدل المحسن الواجب على رغبة وانقاد المسيء للحق رهبة»[1]، توجد عبارتين متقابلتين " للمحسن من الجزاء "و " للمسيء من النكال "؛ فابن العباس يبين جزاء المحسن والمسيء. .

ثالثا– التصوير :

احتوت التوقيعات في طياتها على صور بيانية وتشبيهات فلم يعمد الموقعون في توقيعاتهم على استعمال الصور البيانية وإنما جاءت عفو المخاطر ، لأن اهتمامهم كان منصبا على كيفية إعطاء الحلول والإجابة على طلبات الرعية ، ويمكن القول أنّ التوقيعات العباسية التي زخرت بالصور والتشابيه كان لها أثر جميل في أداء المعنى وإصابته .

1 – التّشبيه في التوقيعات:

جاءت التوقيعات على صور مختلفة ، منها التشبيه الذي اتسمت به بعضها من ذلك ما كتبه المتولي على أذربيجان إلى يحي بن خالد البرمكي " أما بعد : «فإنّ حقوقا قد منعت ، وأموالا قد تُحيفت ، فإن رسمت ببيع ذلك كشفه ، بلغ ما يوفي على خراجها. فلما وقف بن برمك على الرقعة كتب في ظهرها : وقفنا على هذه الرقعة المذمومة وسوق السعادة عندنا –بحمد الله – كاسدة ، وألسنتهم لدينا معقولة وما بعثناك إلى الناحية لتحيي العظام ولا لتتبع الآثار المذمومة ، فخذ الناس على قانونهم ، وطالبهم بما في ديوانك ، ودع التكشف والتتبع ، فهذه مدة تمضي وأيام تنقضي ، فأما ذكر جميل أو حزن طويل و جنبي وتجنب قول جرير »[2]:

وَكُنْتَ إِذَا نَزَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا

استعان "يحي البرمكي"في توقيعه على التصوير والتشبيه، فقد شبه أقوال السعاة و الوشاة بالبضاعة الكاسدة ، وكان البرمكي يمتلك البراعة في التشبيه خوله في انتقاء واختيار الألفاظ المناسبة له .

---

[1] أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب ، ج 4 ، ص 398 .

[2] العمري، مسالك الأبصار، ج11، ص40.

وقد برع كذلك في توقيعه في رقعة رجل مليح الخط ، رديء الكلام :« الخط جسم روحه الكلام ، ولا ينتفع بجسم لا روح له » [1] ، شبه البرمكي الخط بالجسم ، حيث جمع بين الخط و الكلام كالجسد والروح فكان تشبيها بليغا .

وكذلك ما وقعه جعفر البرمكي في قصة مستنمنح « بعض الصدق قبيح » [2]، البرمكي هنا جعل الصدق إنسان قبيح الشكل وهذا تشبيه بليغ ، ومن المتعارف عليه أن النفس البشرية تميل إلى الجمال وتنفر من القبح .

أما توقيع الفضل بن سهل « إن أسرع النيران التهابا أسرعها خمودا ، فتأن في أمرك ، إن شاء الله»[3] يصور الفضل بن سهل الشخص سريع الغضب مثل النار التي تلتهب بسرعة ، وأن الشخص الذي يثور بسرعة ويتسرع في إصدار قراراته ، فهو يخبره أن يتريث كي لا يندم فيما بعد . ويعتبر هذا التوقيع ضمن التوجيهات السياسية التي كان الخلفاء والوزراء يوجهون بها عمالهم وقاداتهم .ومن التوقيعات التي نحت هذا المنحى توقيع "الصاحب بن عباد" قد كتب إليه بعض الفضلاء يعتذر من ترك حضوره ولخوف التقل على حضرته فوقع : «متى يثقل الجفن على العين »[4]، وهذا تشبيه بليغ فالجفن يلازم العين وهذا دليل على قرب هذا المعتذر من الصاحب بن عباد.

[1] التوحيدي ، البصائر و الذخائر ، ج 8 ، ص 52 – 53 .

[2] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج 4 ، ص 211 .

[3] التوحيدي ، البصائر و الذخائر ، ج 2 ، ص 127 .

2- المجاز في التوقيعات:

كما برز المجاز في عدد من التوقيعات العباسية ومنها توقيع "أبي جعفر المنصور" إلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل «طهر عسكرك من الفساد يعطيك النيل القياد » [1]، جاء المجاز في لفظة "عسكر" ، فقد أراد الجنود وأفراد جيشه ، وعلاقة هذا المجال محلية ، حيث ذكر المحل وأراد أهله .

كذلك توقيع "طاهر بن الحسين الخزاعي" في قصة رجل متظلم من أصحاب نصر بن شبت : « طلبت الحق في دار الباطل »[2]؛ المجاز في كلمة "دار" فليس للباطل دار وإنما أراد من فيها لمن يقولون بالباطل ولا يقولون الحق ،فهذا المجاز علاقته محلية .

ووقع بعضهم إلى وكيل له على عمارة بستانية : « استكثر من شجرة الفرصاد ، فإن خشبها حطب ، وثمرها رطب ، وورقها ذهب »[3] ، المجاز هنا يكمن في كلمة "حطب " وهي علاقة اعتبار ما سيكون ، فالخشب سيصبح حطبا فيما بعد .

3- الكناية في التوقيعات:

شغلت الكناية مكانا في التوقيعات العباسية ، ومن ذلك توقيع " هارون الرشيد" إلى عامله على خراسان : «كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه »[4]؛ فكلمة "رفع رأسه " كناية عن العصيان والتمرد ، وما هو معروف بلاغة الرشيد التي كانت واضحة جلية في توقيعاته ، التوقيع دليل على براعته اللغوية .

كما وقع أيضا إلى صاحب المدينة المنورة :« ضع رجليك عللي رقاب أهل هذا البطن ، فإنهم قد أطالوا ليلي بالسهاد ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد» [5]، جاءت الكناية في عبارة " ضع رجليك على رقاب أهل هذا

---

[1] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج 4 ، ص 204 .

[2] ابن طيفور ، كتاب بغداد ، ص 72 .

[3] الثعالبي ، تحفة الوزراء ، ص 97- 98 .

[4] ابن عبد ربه العقد الفريد ، ج 4 ، ص 206 .

[5] المرجع نفسه ،ج4، ص 206 .

البطن" ، وهي كناية عن السيطرة والتملك ، وكذلك تعني الإهانة والذل ، وهذا التوقيع أراد به الرشيد القضاء على التمرد والعصيان .

ونجد توقيع "المأمون" إلى الرستمي في قصة من تظلم منه : «ليس من المروءة أن تكون أنيتك من ذهب وفضة " وغريمك خاو ، وجارك طاو »[1]، وهي كناية عن الغنى و الثراء ؛ فالمأمون لم يصرح بأن هذا الرجل وإنما كنى بذلك بأوانيه الذهبية و الفضية .

ونجد توقيع "الصاحب بن عباد" في شأن مجرم : «احلق بنات خذيه ، و انقش بالسمط حديه ليعتبر الناظر إليه »[2] ، نجد الكناية في عبارة " أنقش بالسمط حديه " وهي كناية عن الضرب والعذاب الشديد عقابا لهذا المجرم ، وتأديبا له .

رابعا– الاقتباس من القرآن الكريم :

حاول الموقعون انتقاء ما يخدمهم من القرآن الكريم ، اقتباسا حرفيا ، وقد شاعت طريقة الاقتباس من القرآن الكريم والاستشهاد بآياته في توقيعات الخلفاء العباسيين ووزرائهم ، ونلاحظ براعة هؤلاء في التوفيق بين الآية المستشهد بها وموضوع القصص المرفوعة ، واعتبر هذا الاقتباس شكلا من أشكال التطور الحاصل في التوقيع.

ومن التوقيعات التي استشهدت بالقرآن الكريم التوقيع "السفاح" من عامل تظلم منه : ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾[3]، سورة الكهف الآية 51، توقيع السفاح بهذه الآية تبين أنه يبطل عمل العامل وأنه يستعين بالظالمين، ونجد توقيع أخر له في قصة قوم شكوا غرق ضياعهم :﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4] سورة هود الآية 44.

---

[1] ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج4، ص207.

[2] الثعالبي، خاص الخاص ، ص 73 .

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص204 .

[4] المرجع نفسه، ج4، ص 204 .

أما "أبو جعفر المنصور" قد وقع في قصة رجل قطعت عنه أرزاقه:﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ ﴿٢﴾﴾ [1]،سورة فاطر الآية 02 ، توقيع المنصور بالآية الكريمة جاءت مناسبة مع طلب الرجل وأنه لا مانع لما أعطاه الله ، فقد قبل طلبه .

كذلك توقيع "هارون الرشيد" ردا على رسالة ملك الروم :﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾[2]، سورة الرعد الآية 42، وهذه الآية جاءت مناسبة للرد على ملك الروم ، ووفق الرشيد في اختياره لهذه الآية التي تتضمن معاني التهديد و الوعيد للأعداء.

ومن توقيعات الوزراء الذين اقتبسوا من القرآن الكريم ، ما وقعه "أبو مسلم الخراساني" الذي كانت أغلبية توقيعاته من القران الكريم ، فقد وقع إلى ابن قحطبة ثلاث توقيعات متتالية من القران الكريم ، فوقع إليه : ﴿ٱللَّهُ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴿٧٧﴾﴾[3] ،سورة القصص الآية 77 ، أما الاقتباس الثاني : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴿١٢٥﴾﴾[4]،سورة النحل الآية 125 ، أما الاقتباس الثالث :﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴿١١٣﴾﴾[5]، سورة هود الآية 113 ، هذه الآيات الثلاث التي رد بها أبو مسلم على عامله ، فجاءت الآية الأولى تحذيرا من العقاب في الدنيا والثانية جاءت توجيها لتحسين سلوكه ومعاملته الحسنة مع رعيته ؛ أما الآية الثالثة تنبيها لهم بأن لا يتخذ الظالمين ويلحق به العقاب ووقع أيضا أبو مسلم الخلاف حين

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ، ج 4 ، ص 377 .

(2) المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 204 .

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج 4 ، ص 210 .

(4) المرجع نفسه ، ج4،ص 210 .

(5) المرجع نفسه، ج4،ص 210 .

أنكر نيته:﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾[1] سورة البقرة الآية 14 ،هذه الآية تبين هيئة المنافق ذو الوجهين ، الذي يظهر أمرا ويظهر أخر .

أما توقيع"الصاحب بن عباد" في كتاب بعض مخالفيه :﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾[2] ،سورة البقرة الآية 79 ، والغرض من هذه الآية هو توعد الصاحب بن عباد مخالفيه بالعقاب الشديد وهذه الآية جاءت وافية بالغرض .

كذلك توقيع "أبي مسلم الخراساني" في كتاب سليمان بن كثير الخزاعي : ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾[3] ،سورة الأنعام الآية 67 ؛ فهو يخبره أن لكل خبر قرار يستقر عنده ونهاية ينتهي إليها و يتبين الحق من الباطل ، وهذه الآية جاءت مناسبة مع طلب سليمان بن كثير، وفي توقيع أخر له إلى محمد بن صول كتب إليه بسلامة أطرافه : ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾[4]،سورة الضحى الآية11، استشهد أبو مسلم الخراساني بهذه الآية في توقيعه ، جاءت ملائمة مع موضوع الرقعة ، فهو يخبره بأن يتحدث عن النعمة التي أسبغها الله عليه .

إنّ التوقيعات نصوص جمعت بين حسن الصياغة والسبك من ناحية وفضل صاحبها وسموها يدعو إليه من ناحية أخرى، وهي بذلك تدعوا دعوة للناس إلى تعلمها وتمثلها والاحتكام إليها، فهي جمعت بين البيان والبديع والمعاني.

---

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج 4،ج4، ص 211 .

(2) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج 3 ، ص 234 .

(3) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج 4، ص 382.

(4) المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 382 .

المطلب الثالث: الأبعاد الدلالية لتوقيعات العباسية

انفسحت مادة التوقيعات وتعددت مناحيها، لتعبر عن طائفة من الأبعاد، وقد شملت جوانب مختلفة فمنها السياسية والاجتماعية والدينية.

1 ـ أبعاد سياسية

اتخذت التوقيعات أبعادا سياسية، انبثقت من روح السياسة في العصر العباسي إذْ كان الخلفاء والوزراء والأمراء يُوجهون بها الحكم عن طريق التوقيعات واعتمدوا عليها في تسيير السياسة العامة للدولة التي تهدف إلى ضمان تسيير شؤون الحكم وأمور الرعية، بالنظر إلى التطور السياسي في العصر العباسي وتعقيد أمور الدولة واتساعها وكثرة الرعايا ومتطلباتهم، بالإضافة إلى تعيين الولاة على الولايات والأمصار الأخرى للدولة، وتنصيب القادة على الجيش وتوجيههم، ومن ذلك ما وقعه "المأمون" حين رفع إليه أهل السواد قصة في إتيان الجراد على غلاتهم فوقع: «نحن أولى بضيافة الجراد من أهل السواد، فليحط عنهم نصف الخراج»[1]؛ أي أن المأمون أمر بإعطاء خراج لأهل السواد لأن الجراد أتلف غلاتهم، وكذلك الأمر بالنسبة لتوقيع " عبد الله بن طاهر" حين أَدَّبَ بعض قواده حتى مات رفع إليه أن النّاس يقولون أنه قتله فوقع:« إنما أَدَّبْنَا فوافق الأدب الأجل»[2]،في هذا التوقيع يرد "عبد الله بن طاهر "على أولئك الذين اتهموه بقتل بعض قواده أنه أدبه ولم يقصد قتله، وإنما تأديبه جاء والأجل مصادفة.

كما جرت التوقيعات مجرى محاربة المتمردين وردعهم وحماية الشؤون السياسية للدولة والحفاظ على أمنها واستقرارها من ذلك ما وقعه "هارون الرشيد" إلى صاحب السند بظهور العصبية، فوقع :" «من أظهر العصبية

---

[1] الثعالبي، خاص الخاص، ص 70

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص 393.

فعاجله المنية»[1]، هذا الرد يدل على قوة وعزيمة الرشيد، وكذا محاربته التمرد وهو من التوجيهات السياسية الصارمة لردع المتمردين.

ونجد توقيع "ذو الرياستين" إلى"طاهر بن الحسين" في أمر أنكره عليه:«يا نصف إنسان.والله لئن أمرت لأنفدن ولئن أنفدت لأبرمن، ولئن أبرمت لأبالغن»[2]، ذو الرياستين يوبخ طاهر بن الحسين وينعته بنصف إنسان وهي صفة قللت من شأن طاهر بن الحسين.

2- أبعاد إجتماعية

نال الجانب الاجتماعي في العصر العباسي حظا وافرا من التوقيعات إذ عالجت قضايا اجتماعية متعددة أسهمت في حل مشاكل الرعية الاجتماعية وفك النزاعات فيما بينهم، هذا البعد الاجتماعي للتوقيعات ساعد على نشر الأمن و الاستقرار بين الرعايا، فهم يطمئنون على أنفسهم وأعراضهم وأرزاقهم، فالخليفة يسعى دائما إلى تلبية حاجيات وطلبات الرعايا، فهو يعيل كل فقير ومحتاج لجأ إليه.

ومن التوقيعات التي عالجت القضايا الاجتماعية، نجد توقيع "ابو العباس السفاح" إلى جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم فكتب إليهم:« من صبر في الشدة، شارك في النعمة ثم أمر بأرزاقهم»[(3)]؛ فهو يخبرهم أن يصبروا حتى يوفيهم أرزاقهم.

نجد أيضا توقيع "أبو جعفر المنصور" في قصة رجل ذكر أن أمير المؤمنين أمر بأرزاق وأن الفضل أبطأ بها: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ ۝﴾[4]، سورة فاطر الآية2؛ فهو يطمئنه أن الرزق الذي أعطاه الله إياه لا يستطيع أي أحد أن ينزعه منه.

---

[1] الثعالبي، خاص الخاص، ص69.

[2] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج2، ص131.

[3] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص 367.

[4] المرجع نفسه ، ج4، ص 110.

وهناك من التوقيعات أيضا ما كان للقضاء على الظلم والظالمين الذين كانوا يستغلون ضعف الرعايا وخوفهم من أعلى منهم مرتبة فنجد "المهدي" وقع بين قصة متظلمين شكوا بعض عماله: « لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى الحق كما يقاد الجمل المخشوش»[1]؛ فالشخص الذي يعمل منكرا فلابد أن يعاقب على أعماله حتى ولو كان من علية القوم.

3- أبعاد دينية:

امتدت التوقيعات إلى البعد الديني، حيث عالجت مجموعة من القضايا التي تخص الدين والدنيا. كما أن الرعية يحاولون البحث في أمور الدين والفقه ومعرفة أحكام الشريعة تحصنا منهم كي لا يقعوا في الزلات. كما دعت التوقيعات إلى تطبيق شرع الله وسنته وإقامة العدل، وكذلك التحلي بمكارم الأخلاق، ومن ذلك ما وقعه "جعفر بن يحي البرمكي" في رقعة صارورة استأذنه بالحج:« من سافر إلى الله أنجح»[2]، في هذا الرد لجعفر يبين أن السفر إلى الله – الحج- هو أنجح شيء يفعله الإنسان.

كذلك نجد توقيع " أبو العباس السفاح" على كتاب جاءه من أبي مسلم يستأذنه في الحج وفي زيارته فوقع له:« لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام و خليفته وإذنك معك»[3] ، السفاح يرد على أبي مسلم ويخبره أنه لا مانع له من زيارة بيت الله؛ ولن يقف في وجهه.

ونجد أيضا من التوقيعات التي تحمل بعدًا دينيا ما كان حمدا لله وشكره على النعم التي أنعم بها على عباده. من ذلك توقيع "ذو الرياستين" الذي حث رعاياه على الشكر والثناء: « استدم بالشكر بقاء النعمة، وبالطاعة علو المنزلة، وإياك أن يورطك هواك فيما لا بقيا معه عليك إن شاء الله»[4] ؛ فهو يخبره أن يواصل في شكر الله حتى يزيده في النعمة والرزق، وطاعته كي تعلو مرتبته إن شاء الله.

---

[1] أحمد زكي صفوت، المرجع السابق ، ج4 ،ص 372.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص 375.

[3] المرجع نفسه، ج4، ص 367.

[4] المرجع نفسه، ج4، ص 370.

من هنا فإنّ التوقيعات العباسية حافلة بمواضيع عالجت من خلالها جل القضايا التي خاضت فيها الدولة العباسية، هذه التوقيعات كانت لها أبعادا سياسية واجتماعية ودينية، استطاعت أن توجه الحياة في ذلك العصر لما لها من مرونة وتوسع، ولم تختص بقضية واحدة وإنما جل القضايا سواء كانت تخص البلاد أو العباد.

الخاتمة

الخاتـمــة

من خلال دراستنا لفن التوقيعات استخلصنا النتائج التالية:

- تعد التوقيعات ثمرة من ثمرات الكتابة العربية في العصر العباسي والتي استفادت من الثقافة الفارسية.
- ازدهر هذا اللون الأدبي يدل على التطور الإداري و السياسي، فبعدما كان الرعايا يطالبون بحقوقهم ورفع شكواهم شفاهة أصبحوا يكتبونها في الرقاع، ويرفعونها إلى ولاة الأمر للنظر فيها.
- اختلفت التوقيعات وتعددت أنواعها فكانت توقيعات قرآنية، أو شعرية، أو حكمية أو أمثال، أو غير ذلك.
- تنوعت مصادر التوقيعات فقد عني بجمعها في كتب ومصنفات قديمة، واهتم بها كذلك طائفة من الكتاب المعاصرين.
- أغلب مواضيع التوقيعات تتصل بالسياسة، لذلك نجدها تصدر عن الوزراء ، والخلفاء، والقواد ، والولاة وهذا لا يعني أنها لا تحتوي على مضامين أخرى ، فهي تتعداها للقضايا الاجتماعية أيضا.
- اصطبغت التوقيعات العباسية بألوان البديع ، كان لها دور إثراء البنية الإيقاعية وجمالية المقاطع.
- يقوم التوقيع على الإيجاز إذ من شروطه ، الاختصار ، والدقة.
- اتسمت التوقيعات بخصائصها الفنية المميزة فقد امتازت بالجمالية من خلال جملها القصيرة ، حتى أن معظمها يميل إلى الإيجاز الذي يحمل ألونا من الفني يذل على المهارة ، والدقة ، التي وصل إليها الكتاب كما نلحظ قليلا من الإطناب الذي جاء في بعض التوقيعات فيما بعد.
- شاعت في التوقيعات بعض المحسنات البديعية كالسجع ، الجناس ، الطباق ، والمقابلة.
- توقيعات نصوص جمعت بين حسن الصياغة، وخطر المضمون من ناحية أخرى.

- لاقت طريقة الاقتباس من القرآن الكريم ، في التوقيعات العباسية رواجا كبيرا ، حتى أصبحت معظم الآيات تردد في التوقيعات.
- شملت التوقيعات جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والدينية.
- كان الخلفاء والوزراء والقادة في العصر العباسي يجيدون كتابة التوقيعات فكانت توقيعاتهم مأثورة جمعت بين السياسة والأدب.
- تولى بعض الخلفاء بعض التوقيعات أو كانوا يملونها على الكاتب الذي بين يديهم وتزويدهم بالتوجيهات اللازمة.
- إن أصحاب السلطان من خلفاء، ووزراء ، وأمراء ، كانوا على قدر كبير من الثقافة والتذوق للفن ولإبداع الأدبي ، مما جعلهم يسلكون هذا المسلك ويكتبون بهذه اللغة الفنية المبدعة.
- اقتصار التوقيعات على فئة خاصة من الناس من علية القوم وأشرافهم، وذوي العقول الراجحة.
- يحظى كاتب التوقيعات المبدع بمكانة مرموقة لدى السلطان فهو خزانة أسراره.
- للتوقيعات تأثير كبير في السياسة، والأدب، أضافت إلى الأدب العربي لونا أدبيا جديدا ، وتوجيهات تخص شؤون الحكم والدولة والرعية.
- لفن التوقيعات مكانة عظيمة في أدبنا العربي ، فيجب أن يهتم به الدارسون ويولوه عناية فائقة.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد لما هو خير ، وما نرجوه من العلي القدير أن يجعل هذا البحث المتواضع بمثابة السراج المنير لمن تبعنا وسار على دربنا كما نأمل أن نكون قد فتحنا مجالا لدراسة أعمق في هذا الميدان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله الموفق المعين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.**

1-المصادر:

1. ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، إعتاب الكتاب، تح: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1961م.
2. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، ج4، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
3. التوحيدي أبو حيان علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، ج6، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1988م.
4. الثعالبي أبو منصور، تحفة الوزراء، تح: سعد أبودية، دار البشير، الأردن، ط1، 1994م.
5. الثعالبي أبو منصور، الاقتباس من القرآن الكريم، ج12، تح: ابتسام مرهون الصفار ومجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، بغداد، ط1، 1992.
6. الثعالبي أبو منصور ، المتشابه ، تح: إبراهيم السامرائي ، مطبعة الحكومة ، بغداد، 1967م.
7. جرير بن عطية الحفصي، ديوان جرير، تح: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2009م.
8. الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 2003م.
9. الروماني أبي الحسن علي بن عيسى وآخرون، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر،ط1986،3م.

10. الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تهذيب: إبراهيم زيدان، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، د ط، 1902.

11. ابن طيفور أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب، كتاب بغداد، تح: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، د دار النشر، د ب، د ط، 1949م.

12. القاضي الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف، تح: محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، د ط، 1959م.

13. القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي، صبح الأعشا في صناعة الإنشا، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، 1922م.

14. لقلقشندي،صبح الأعشا في صناعة الإنشا، ج3،تح: يوسف علي الطويل، دار الفكر،دمشق،ط1،د ت.

2- المراجع:

1. الأسلت بن أبي قيس صيفي الأوسي، ديوان الأسلت بن أبي قيس صيفي الأوسي، تح: حسين محمد باجودة، مكتبة دار التراث، القاهرة، د ط، 1973م.

2. أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2009م، .

3. أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، د ط ، د ت.

4. أحمد حسين الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ط، د ت.

5. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبطه: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، د ت.

6. التنوخي القاضي بن علي المحسن بن علي، الفرج بعد الشدة، ج1، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، د ط، 1978م.

7. ابن حمدون بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، ج1، تح: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ج7 ، ج1.

8. لخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م،

9. ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، مقدمة، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م.

10. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان ،مج3، تح: إحسان عباس، دار صادر،بيروت، د ط، د ت.

11. خليل بن أيبك الهندي،تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د ط، 1969م.

12. السبكي بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج 2 ، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 2003م.

13. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

14. سويد بن أبي كاهل اليشكري، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، تح: شاكر عاشور، دار الطباعة الحديثة، العراق، ط1، 1972م.

15. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط8، د ت.

16. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط2، د ت.

17. الصاحب بن عباد، رسائل الصاحب بن عباد، صححه، عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف، دار الفكر العربي، د ب، ط1، د ت.

18. صفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح: نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط2، 1992م.

19. عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج 4، المطبعة النموذجية، مصر، د ط، د ت.

20. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، د ب ، د ط ، 1999م.

21. علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 2003م.

22. علي شلق، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، ج3، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1994م

23. عمر عروة، النثر الفني القديم أبرز فنونه وأعلامه، دار القصبة للنشر حيدرة، الجزائر، د ط، 2000م.

24. العمري بن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج11، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، د ط، د ت.

25. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج4، تح: محمد التونجي، دار المدار الثقافية، د ب، ط1، 2009م.

26. أبو ليل أمين، ربيع محمد، العصر العباسي الأول، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، د ط، 2009م.

27. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري، الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، دار الحديث،

28. مجدوي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م

29. محمد أحمد قاسم محي الدين ذيب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.

30. محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، مصر ، ط1، 2004م

31. محمد عبد المنعم خفاجي ، الآداب العربية في العصر العباسي الأول ، دار الجيل ، بيروت ، د ط ، 1992م.

32. ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط3، د ت.

33. محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ط2، 1986

34. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،نهاية الإرب في فنون الأدب،ج7 ، تح: علي بوملحم، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، د ط، د

35. أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني الجريري، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: إحسان عباس، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ج2، ج4.

36. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج3، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965م.

37. أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، خاص الخاص، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1809م،

38. مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2009م

39. هاشم صالح منّاع، روائع من الأدب العربي العصر الجاهلي-الإسلامي-الأموي- العباسي، دار الوسام ودار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1991م.

3- المعاجم:

1. أحمد الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مج4، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

2. ابن فارس بن زكرياء أبو الحسن الرازي، مقاييس اللغة، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1971م.

3. مرتضى الزبيدي محمد بن محمد الحسين، تاج العروس، ج 36، اعتنى به عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م.

4. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج 15، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م.

5. ابن منظور، لسان العرب، ج 15، صححه: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2008م.

– المذكرات:

1. أدب التوقيعات في العصر العباسي، أميرة عبد المولى حمد الحراحشة، إشراف د: محمد محمود الدروبي، كلية الآداب والعلوم ، قسم اللغة العربية، جامعة آل البيت، نواقشت 2004م.

– المجلات:

1. عبد الكريم حسين رعدان، فن التوقيعات في الأدب العربي، جامعة حضرموت، كلية التربية، سقطرى، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد الرابع والثلاثون يناير، يونيو، 2012م.
2. عثمان سعد علي عمر، فن التوقيعات الأدبية العباسية، المجلة الليبية العالمية، العدد السادس والعشرون، 25 أغسطس 2017م.
3. منيرة فاعور، فن الطباق في أدب التوقيعات، مج 30، مجلة جامعة دمشق، العدد1 و 2، 2004م.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-ب
مدخل: العصر العباسي وأهم التغيرات التي طرأت عليه	1
الفصل الأول: فن التوقيعات بحث في الماهية و الأهمية	
المبحث الأول: نشأة التوقيعات ، البواعث و الموضوعات	20-4
المطلب الأول: بحث في نشأة التوقيعات	4
أولا: ماهية التوقيعات	4
ثانيا: نشأة التوقيعات	7
ثالثا: أهمية فن التوقيعات	8
المطلب الثاني: بواعث ازدهار التوقيعات	11
المطلب الثالث: موضوعات التوقيعات	14
المبحث الثاني: التوقيعات بحث في الأنواع، المصادر والخصائص	46-21
المطلب الأول: أنواع التوقيعات	21
المطلب الثاني: مصادر التوقيعات	30
المطلب الثالث: الخصائص الفنية لتوقيعات	37
الفصل الثاني: فن التوقيعات ، موضوعاتها وخصائصها الفنية	
المبحث الأول: كتّاب التوقيعات ،مكانتهم ومواصفاتهم	55-47
المطلب الأول: كتّاب التوقيعات في العصر العباسي	55
المطلب الثاني: مكانة ومواصفات أصحاب التوقيعات في العصر العباسي	51

المطلب الثالث: أثر التوقيعات في السياسة والأدب	53
المبحث الثاني: الموضوعات والخصائص والأبعاد	93-55
المطلب الأول: موضوعات فن التوقيعات في العصر العباسي	55
أولا: الرد على الأعداء	55
ثانيا: الرد على المتظلمين	56
ثالثا: الرد على السجناء	59
رابعا: الرد على الشكاوي	60
خامسا: التوجيهات السياسية والإدارية	63
سادسا: الرد على الولاة والعمال	66
سابعا:الرد على السعاة والوشاة	69
ثامنا: الرد على العصاة والمتمردين	72
تاسعا: الرد على المستعطين	73
المطلب الثاني: الخصائص الفنية لتوقيعات في العصر العباسي	76
أولا: الإيجاز	76
ثانيا: الصنعة	79
ثالثا: التصوير	84
رابعا: الاقتباس من القرآن الكريم	87
المطلب الثالث: الأبعاد الدلالية لتوقيعات العباسية	90
الخاتمـة	94

قائمة المصادر و المراجع	96
فهرس المحتويات	103

ملخص:

درسنا في هذا البحث "فن التوقيعات"، وهو يعتبر من أهم الفنون الأدبية في تاريخ الأدب العربي ، ذاع صيته وانتشر بين علية القوم من خلفاء ، وأمراء ، وولاة ، وحتى قادة الجيش ، ففن التوقيعات يمثل جمل قصيرة موجزة وبليغة ذات إيحاءات ودلالات عميقة وعديدة ، وهو يقتصر على أهل البلاغة ، والفصاحة ، والتوقيعات فن أدبي يقوم بشكل أساسي على الإيجاز ، والاختصار ، فهي تتقارب مع المثل والحكمة في بعض خصائصها الفنية ، وهي عبارات موجزة تختزل كثيرا من المعاني ، وهذا ما جاء في تعريف كثير من الباحثين الذين أولو هذا الفن أهمية ؛ وقد استطاع هذا النوع الأدبي إلى أن يصل إلى أوج تطوره وازدهاره في العصر العباسي ؛ إذ ساهم هذا الفن في حل كثير من النزاعات بين الرعايا ، فالتوقيعات كانت عبارة عن مرسوم إداري آنذاك لأنه يصدر عن أصحاب السلطة والجاه.

وقد انبثق هذا الفن في ظلال الخلافة العباسية، حيث شمل جميع مناحي الحياة لتعدد مضامينه فالتوقيعات كانت همزة وصل بين الخلفاء ، والوزراء ورعاياهم ، وبفضلها طرأ على المجتمع العباسي تغيير كثير؛ فساد الأمن والاستقرار وأصبح الرعايا يثقون في حاكمهم لأنهم كانوا على يقين أنه سيدافع عنهم ، وسيسهر على حمايتهم.

الكلمات المفتاحية: التوقيع، الرقاع، القصص، الرعية، الخصائص الفنية، الموضوعات.